النور

يا عمال العالم اتحدوا

www.alnnour.com

أسبوعية ـ سياسية ـ ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد

السنة الثانية والعشرون ـ العدد 1069 ـ الأربعاء 9 آب 2023

هل كانت مقنعة؟

هل كان ضرورياً عقد جلسة استثنائية لمجلس الشعب لتمرير رسائل الحكومة تحت قبة المجلس؟

» (النور)

لن نتكلم هنا عن ارتفاع سقف الآمال لدى غالبية الشعب السوري الذين وجدوا أنفسهم في هاوية الفقر بعد اثنَي عشر عاماً من الجمر، إثر الإعلان عن عقد هذه الدورة، فمنطق الأمور يدفع إلى أن هناك موجبات هامة وعاجلة تستدعي عقد جلسة استثنائية للسلطة التشريعية.

كذلك لن نصف الخيبة التي عصفت بهم بعد الإعلان عن مخرجات هذه الدورة (الاستثنائية).

لكننا سنتوقف قليلاً عند الرسائل الواضحة التي تضمنتها كلمة السيد رئيس مجلس الوزراء:

البقية ص ٢

لماذا صمت القيادة السياسية على قرارات القيادة الاقتصادية الليبرالية؟

لا للتفريط بملكية الدولة والشعب

11

روسيا: نريد من أمريكا أفعالاً لا أقوالاً

قالت روسيا، يوم الجمعة ٢٠٢٣/٨/٤، إنها تريد أفعالاً وليس وعوداً من الولايات المتحدة لتنفيذ الشروط التي وضعتها حتى تعود إلى اتفاق تصدير الحبوب عبر البحر الأسود، وذلك رداً على ما قاله وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن الخميس إنه (في حالة العودة إلى الاتفاق، سنواصل بالطبع القيام بكل ما هو ضروري للتأكد من أن كل طرف يمكنه تصدير غذائه ومنتجاته الغذائية بحرية وأمان بما يشمل روسيا).

البقية ص ٢

النيجر لفرنسا: كشّ ملك.. مات!

الدب الروسي يرعب إمبراطوريات المستعمرين

4

14

مياه الصرف الصحي تغزو عشرات الدونمات الزراعية بطرطوس!

12

تهنئة

قيادة الحزب الشيوعي السوري الموحد وأسرة جريدة (النور)، تتقدمان بخالص التهنئة لجيشنا السوري الباسل بمناسبة عيد الجيش، وتذكران بكل فخر الدور الذي لعبه جيش أبناء سورية في مقاومته المحتل الفرنسي سابقاً لنيل الاستقلال، وصولاً إلى مواجهته لغزو الإرهابيين.. ومقاومته لمخططات الإدارة الأمريكية الساعية لتقسيم البلاد، وتصدّيه للعدوان الصهيوني المتكرّر، والحفاظ على سيادة سورية.

هل كانت مقنعة؟ هل كان ضرورياً عقد جلسة استثنائية لمجلس الشعب / بقية

١- إن انخفاض الإيرادات العامة ليست مسؤولية حكومة السيد عرنوس، ولا الحكومات المتعاقبة منذ بداية الأزمة والغزو الإرهابي فقط، فالفريق الاقتصادي خلال عقد ما قبل الأزمة عمل على تهميش، بل إفشال جميع القطاعات الاقتصادية العامة، وبضمنها القطاع العام الصناعي والمشاريع الزراعية الحكومية، وحتى المرافق العامة كالموانئ، ضمن توجه ليبرالي يهدف إلى تسليم مفاتيح الاقتصاد السوري إلى الرأسمال الريعي، وهكذا ومنذ بداية الأزمة توارت الشركات (القابضة) وهُرّبت الرساميل، واستقبلت بلادنا تداعيات الغزو والحصار والعقوبات بهياكل اقتصادية هشّة، وجاء الاحتلال الأمريكي بمساعدة حلفائه ليحرم سورية من أكبر مصدر للإيرادات العامة وهو النفط. الضرائب وحدها لا تكفي (في الحالة السورية) لتمويل نفقات الدولة، فكيف سيبدو المشهد إذا كانت هذه الضرائب والرسوم، وخاصة غير المباشرة منها، وهي النسبة الأكبر، تخرج من جيوب الفئات الفقيرة والمتوسطة، في الوقت الذي لا تشكل فيه الضرائب على الأرباح والريوع أكثر من ٣٠٪ من مجموع الإيرادات الضريبية؟ لقد ساهم القطاع العام بنحو ٣٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي في عام ٢٠١١، رغم محاولات تخريبه وعدم تطويره.

٢- ما عجزت الحكومات المتعاقبة عن القيام به منذ بداية الأزمة، ومنها الحكومة الحالية، هو ضبط الموارد وتوزيعها وفق الأولويات، وأيضاً وفق مبدأ العدالة، ومساعدة ما بقي من القطاعات المنتجة على استمرار إنتاجها في ظل تداعيات لم يشهدها أي من الاقتصادات في الدول النامية، فاستسهلت هذه الحكومات اللجوء إلى استيراد كل شيء عبر حزمة من المستوردين (نظراً لمقاطعة مؤسسات الحكومة السورية الخارجية)، ففقدت تلك الحكومات أدوات التأثير في أسعار هذه المستوردات، وأصبح المواطن السوري وحيداً أمام حيتان كبار يتحكمون بلقمته ودفئه ودوائه! وجرى ذلك في الوقت الذي كان الأمر يتطلب وقف استيراد جميع الكماليات التي كانت ومازالت متوفرة في الأسواق، وتمويل جميع القطاعات العامة والخاصة المنتجة في الصناعة والزراعة لتحفيز زيادة الإنتاج، وتوفير القطاع الأجنبي.

٣- حاولت الحكومات المتعاقبة خلال سنوات الجمر توجيه رسائل إلى المجتمع الدولي بأن سورية رغم غزو الإرهابيين ومجازرهم، وقساوة الحصار وتداعياته، مازالت أسواقها زاخرة بجميع السلع الأساسية والكمالية، ولم تلجأ الحكومات قطّ إلى التدخل في سوق القطع الأجنبي، ولم تتخذ الإجراءات المعهودة في حالة الحروب، وأهمها الحفاظ على العملة الوطنية، ومنع المضاربين في الأسواق السوداء من تدمير الاقتصاد الوطني، بل جارت هؤلاء المضاربين في وقت من الأوقات، وضخّت ملايين الدولارات في الأسواق، ليتلقفها تجار العملة، ويعودون إلى رفع سعر القطع الأجنبي.

٤- الدعم الاجتماعي للفئات الفقيرة موجود في أوقات السلم حتى في الدول الرأسمالية، وكانت سورية ذات الاقتصاد الاشتراكي المخطط بموجب الدستور الذي كان سارياً حتى عام ٢٠١٢، سبّاقة إلى السير في طريق تحقيق العدالة الاجتماعية، ونجحت بالاستناد إلى مبدأ الدعم الحكومي للفئات الفقيرة في عدم توسيع الهوة أكثر فأكثر بين الفئات الثرية.. القادرة، والطبقة العاملة والفلاحين الفقراء وجميع متلقي الأجور.. هذا في زمن السلم، فكم هو ضروري ومصيري زيادة هذا الدعم وإيصاله فعلياً إلى مستحقيه في زمن الحرب والأزمات التي حولت نحو ٨٥٪ من السوريين إلى خانة الفقر!

إن التخلي عن الدعم الاجتماعي للفئات الفقيرة اليوم لا يمكن تفسيره إلا بأنه ضربة موجهة إلى أكثرية الشعب السوري الذي يشكل العامل الرئيسي في صمود جيشنا الوطني في مقاومة الاحتلال واستعادة السيادة على كل شبر من الأرض السورية.

لقد ربط حزبنا، الحزب الشيوعي السوري الموحد، منذ مؤتمره الثالث عشر حتى اليوم، بين استمرار الصمود السوري، وتأمين مستلزمات هذا الصمود، وفي مقدمة هذه المستلزمات دعم الفئات الفقيرة التي وقفت.. وستبقى واقفة، جنباً إلى جنب مع جيشنا الوطني في مقاومة الاحتلال الصهيوني والأمريكي والتركي.

٥- لا نعلم لماذا خيّر السيد رئيس مجلس الوزراء شعبنا بين دعم الإنتاج الوطني، والسيطرة على سوق القطع الأجنبي والحفاظ على الليرة السورية! علماً أن دعم وزيادة الإنتاج يتطلب سيطرة الحكومة على أسواق القطع، ومنع تدهور العملة الوطنية، إذ تؤدي المضاربة وتأرجح سعر القطع إلى تعقيد عمليات الإنتاج، وترفع من تكاليف السلع المنتجة ونقلها، وتصديرها، والمتضرر الأكبر من عدم الجمع بين الأمرين هو المواطن والمنتج السوري!

التركيز على أحد الاستحقاقين لا يكفي يا سيادة رئيس مجلس الوزراء، بل من الضروري بذل الجهود لتحقيقهما معاً، إذا كنا جادّين بدعم الإنتاج.

٦- أما عن تمويل تكاليف الدعم الاجتماعي، فلا نراه مصيباً عن طريق عجز الموازنة، بل الأجدى أن يأتي من جباية حق الدولة من أثرياء الحرب، والمتكسّبين منها، والذين أثْروا باستغلالها، وكبار الفاسدين الذين (حلبوا) الدولة والشعب، ومازالوا يشكلون حصان (طروادة) لكل مسعى أمريكي لتأبيد الأزمة السورية.

أخيراً.. هل كان من الضروري عقد جلسة استثنائية لمجلس الشعب لإيصال رسائل الحكومة؟

كان من الأفضل لو عقد السيد رئيس مجلس الوزراء مؤتمراً صحفياً لإعلان هذه الرسائل. وهل كانت رسائل الحكومة مقنعة لدى فئات الشعب السوري؟

تكفي نظرة واحدة إلى ردود الأفعال في الصحف ووسائل التواصل لمعرفة الجواب.

روسيا: نريد من أمريكا أفعالاً لا أقوالاً / بقية

ورفضت روسيا الشهر الماضي تمديد الاتفاق الذي سمح لأوكرانيا بتصدير الحبوب من موانئها على البحر الأسود. وقالت إنه لم يُبذل ما يكفي لإزالة العقبات أمام صادراتها من المواد الغذائية والأسمدة. وأبدت استعدادها للعودة إلى الاتفاق بمجرد حل هذه القضايا. وقال ديمتري بيسكوف المتحدث باسم الكرملين للصحافيين: (إذا كانوا يريدون المساهمة في الوفاء بالجزء المستحق لروسيا في اتفاق الحبوب، يتعين على الأمريكيين الوفاء به وليس الوعد بأنهم سيفكرون في الأمر). وأضاف: (بمجرد الانتهاء من ذلك، سيتم تجديد الاتفاق على الفور).

وتتهم دول غربية روسيا باستخدام الغذاء سلاحاً من خلال الانسحاب من اتفاق البحر الأسود وشن ضربات جوية متكررة على الموانئ الأوكرانية ومخازن الحبوب في الأسابيع الماضية.

وترى روسيا أن الاتفاق لم يجرِ تنفيذه بالشكل الصحيح، قائلة إن الحبوب لَم تصل إلى أفقر البلدان. وتقول إنه على الرغم من أن العقوبات الغربية لم تستهدف صادراتها الغذائية بشكل مباشر، فإن تلك القيود تؤثر على الشحن عبر الموانئ وخدمات التأمين والخدمات المصرفية.

الثورة
أسبوعية- سياسية - ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
أسسست عام 1955
أعيد إصدارها عام 2001
المدير المسؤول: المحامي فؤاد البني
رئيس التحرير: بشار المنيّر
الإخراج الفني: عمار الشيخ علي
الموقع الإلكتروني: مازن الشيخ علي
الجمهورية العربية السورية - دمشق | المزرعة - شارع عمر المختار
+963 3342573-3342572-3324914
+963 4422383-3342571
annourscs@gmail.com
alnnour.com
Alnnour.newspaper

لا نتائج لـ(الانفتاح العربي): السّوط الأمريكي يجلد السوريين

» حسين الأمين

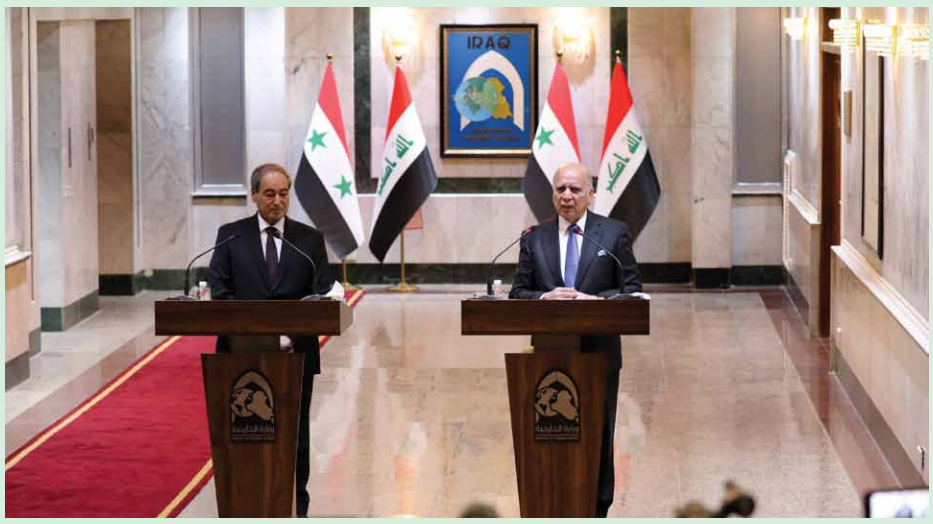

حتى اليوم، لم يأتِ الانفتاح العربي على دمشق بأي نتائج إيجابية تذكر؛ إذ بقيت الوعود بمساعدة سورية، والبدء بتخفيف آثار الحرب عنها، وإطلاق عملية إعادة الإعمار فيها، حبيسة القاعة التي شهدت اجتماع (مجلس جامعة الدول العربية)، في مدينة جدّة، في أيار الفائت. صحيح أن سورية استقبلت عقب الزلزال الذي ضربها وتركيا، مساعدات إنسانية من دول مختلفة، وفي مقدّمتها الإمارات وإيران، إلا أنها لا تزال تلك المرة الأخيرة التي استقبلت المطارات السورية فيها، طائرات إماراتية خصوصاً، وعربية عموماً، ضمن مساعدات عينية أو مالية، أو حتى استثمارات وتبادلات تجارية جدّية. في المقابل، تستفحل الأوضاع الإنسانية والمعيشية الصعبة في سورية، إلى حدّ يمكن معه القول إن (عام الانفتاح العربي)، هو نفسه العام الأكثر صعوبة على المستوى الاقتصادي. فمع الأخذ في الاعتبار معدّل التضخم في سورية، فإن مشروع ميزانية عام ٢٠٢٣، بلغت قيمته نحو ٣,٦ مليارات دولار (بحسب سعر الصرف الرسمي حين إقرارها)، مقارنة بـ٥,٣ مليارات دولار في عام ٢٠٢٢، و٦,٨ مليارات دولار في عام ٢٠٢١، مع الإشارة الى ارتفاع سعر صرف الدولار مقابل الليرة السورية، بشكل ملحوظ خلال الشهور السبعة الماضية، ما يعني انخفاض قيمة الموازنة بالدولار أكثر فأكثر، إلى نحو ١,٩ مليار دولار، نسبة إلى سعر الصرف الرسمي الشهر الفائت.

إحباط (الانفتاح العربي)

على رغم تعدّد العوامل المساهمة في غير صالح السوريين، إلا أن العامل الأكثر تأثيراً، يظلّ تمكّن العصا الأمريكية الغليظة، بفعل العقوبات المتعدّدة الأوجه المفروضة على سورية، والتحذيرات العلنية، والتهديدات الخفيّة، من إحباط أي نوايا كانت لدى دول عربية لتقديم مساعدات حقيقية لدمشق. وفي هذا الإطار، تؤكّد مصادر سورية مطّلعة، لـ(الأخبار)، أن (كل الوعود الإماراتية والسعودية بمساعدة سورية، وتفعيل الاستثمار فيها على عدة مستويات، بقيت كلمات على الألسن، وحبراً على الورق، ولم يُترجم أيٌّ منها على أرض الواقع).

وتضيف المصادر أن (القيادة السورية لا تخفي استياءها من عدم انعكاس الانفتاح العربي عليها، إيجاباً على أوضاع الشعب السوري المعيشية والإنسانية، وهي تحمّل واشنطن مسؤولية تجويع السوريين). لكن مسؤولية الولايات المتحدة هذه، لا تُعفي دولاً عربية، كالإمارات والسعودية، من مسؤولية الإخلال بوعودها للقيادة السورية، بأن ينعكس الانفتاح السياسي مساعدات واستثمارات خليجية، خصوصاً أن البلاد تعيش هذه الأيام استقراراً أمنياً نسبياً.

وفي الإطار نفسه، تكشف مصادر ديبلوماسية عربية أن (المسؤولين الإماراتيين وعدوا نظراءهم السوريين بضخّ أموال واستثمارات في البلاد، بعد عودة سورية الى جامعة الدول العربية، وقلّلوا من قدرة العقوبات الأمريكية على منع ذلك)، لكن مع مرور الوقت (تبيّن أن العقوبات الأمريكية، والتحذيرات التي وجّهها الأمريكيون إلى المسؤولين الإماراتيين والسعوديين وغيرهم، تمكّنت بالفعل من إحباط أي محاولات استثمارية جديدة في سورية). كذلك، تفيد مصادر سورية بأن (ثمّة مشاريع استثمارية إماراتية موجودة بالفعل في سورية، لكن العمل مجمّد فيها، بذريعة الأوضاع الأمنية غير المستقرّة، إلا أنها لم تُلغَ)، وهو ما يؤشّر ربّما إلى توفّر (إرادة إماراتية بتفعيل الاستثمارات، لكن ما يحول دون ذلك هو واقع العقوبات الأمريكية). وبشكل تفصيلي، تشير المصادر إلى (الاتفاق الذي وقّعته وزارة الكهرباء السورية، في تشرين الثاني ٢٠٢١، مع تجمّع شركات إماراتية، لإنشاء محطة توليد كهروضوئية قرب العاصمة دمشق بطاقة إنتاجية تبلغ ٣٠٠ ميغاوات، وتأمين التمويل اللازم للمشروع عن طريق تسهيلات تُسدّد بأقساط ربع سنوية لمدة عشر سنوات، على أن تكون فترة تنفيذ المشروع سنتين)، مستدركةً بأن هذا الاتفاق (لم ينطلق العمل به أبداً، لأن الشركات الإماراتية تلقّت تحذيرات أمريكية مباشرة، بوضعها على لائحة العقوبات في حال مضت بالمشروع)، على الرغم من أن الاتفاقية كانت بـ(تغطية) إماراتية رسمية، ووُقّعت بعد يومين فقط من لقاء وزير الخارجية الإماراتي، عبد الله بن زايد، الرئيس السوري، بشار الأسد، في دمشق، خلال الزيارة التي أعلنت عملياً مسار عودة سورية إلى (الحاضنة العربية).

العراق بديلاً؟

بناءً على ما سبق، وفي ظلّ الإصرار الأمريكي والغربي على منع أي انفتاح جدّي على دمشق، وقرن ذلك بتنازلات سياسية واضحة من القيادة السورية، وجدت الأخيرة نفسها أمام خيارات محدودة، لا تخرج عن قدرات حلفائها التقليديين، في طهران وموسكو. لكن بالنسبة إلى روسيا، فقد بدا واضحاً تراجع الاهتمام كما يراه البعض، أو القدرة كما يراها البعض الآخر، بالملف السوري، وخصوصاً لناحية الاقتصاد والاستثمار والبناء والإعمار، في ظلّ الحرب في أوكرانيا. وفي هذا السياق، تؤكّد مصادر دبلوماسية مطّلعة أن (الروس أيضاً لم يفوا بوعودهم للحكومة السورية على المستوى الاقتصادي، بينما يحافظون على حدّ مقبول من الدعم العسكري، وحدّ مرتفع من الدعم السياسي). وتكشف المصادر أن (الرئيسين السوري والروسي اتفقا خلال لقائهما في موسكو في آذار الفائت، على خطوات لدعم سورية على المستوى الاقتصادي، إلا أن ذلك لم يُنفّذ حتى اليوم، فيما من الواضح أن الحرب في أوكرانيا، وآثارها الاقتصادية العميقة، أثّرت على قدرة الدولة والشركات الروسية على الاستثمار في الخارج، وعلى حركة رأس المال الروسي).

أما من جهة إيران، فهي مستمرّة في دعمها سورية على مستويات مختلفة، علماً أنها – منذ سنوات – تمدّ من دون انقطاع، البلاد بحاجاتها من المشتقات النفطية المختلفة. كذلك، نفّذت وتنفّذ الشركات الإيرانية عدة مشاريع استثمارية، خصوصاً في مجال بناء الطرق والبنى التحتية. ولكن القدرة الإيرانية الاقتصادية تبقى في نهاية المطاف محدودة ومكبّلة بالحصار المفروض على الجمهورية الإسلامية، والعقوبات التي تعيق عمليات بيع النفط وغيره من السلع، وتمنع حصول إيران على حاجتها من العملات الصعبة. وانطلاقاً من هذا الواقع، بدا ضرورياً إشراك طرف جديد في (شبكة) دعم سورية، ليس هو إلا العراق، (الصديق) لسورية وإيران، والجار لهما، والذي تربطه بهما حكماً مصالح سياسية وأمنية واقتصادية. وبناءً على ذلك، كانت زيارة رئيس الحكومة العراقي، محمد شياع السوداني، الأخيرة لدمشق، لتعلن صراحةً رفع التنسيق والتعاون بين البلدين إلى مستوى جديد، على مختلف الأصعدة، وبشكل خاصّ على الصعيد الاقتصادي. وينطلق السوداني في خطوته هذه، من محدّدين اثنين: الأول، هو أن سورية عادت إلى (الجامعة العربية)، وعلاقاتها مع دول الخليج باتت مقبولة وفي تحسّن، وبالتالي لم يعد يشكّل التحرّك العراقي تجاهها خرقاً لما يسمّى (الإجماع العربي)، بل على العكس من ذلك، هو يحظى بتغطية وربما دعم بعض الحكومات العربية. أما المحدّد الثاني، فهو حيازة العراق نوعاً من (الاستثناءات) الأمريكية من العقوبات المفروضة على إيران في تعاملهم مع الأخيرة، والتي يؤمّل أن تنسحب على تعاملهم مع سورية. وحتى لو تعذّر هذا الاستثناء، فإنه لن يشكّل مانعاً كاملاً كما هو الحال بالنسبة إلى دول عربية أخرى، بالنظر إلى (اعتياد) الشركات ورجال الأعمال العراقيين على العقوبات، وامتلاكهم أدوات كثيرة للالتفاف عليها.

(الأخبار)

النيجر لفرنسا: كشّ ملك.. مات!

الدب الروسي يرعب إمبراطوريات المستعمرين

» فادي إلياس نصار

البعد السياسي والتاريخي الاستعماري لمفهوم (الفناء الخلفي أو الحديقة الخلفية) الذي عملت عليه الولايات المتحدة الأمريكية في دول أمريكا اللاتينية، اتبعته هو ذاته فرنسا في القارة الإفريقية، فمنذ أن شعر (ديغول) أنه سيخسر النفط الجزائري بعد أن نالت الجزائر استقلالها، سنة ١٩٦٢، قرر اللجوء إلى المستعمرات السابقة في إفريقيا السوداء الغنية بالثروات المعدنية والنفطية، بهدف استغلال هذه الموارد.

فاستدعى لذلك الغرض صديقه جاك فوكار (مهندس الاستعمار الفرنسي الحديث)، فابتكر هذا الأخير شبكة مركزية قوية حملت إعلامياً اسم (فرانس- أفريك)، لتكون مهمتها إبقاء فرنسا المسيطر الوحيد على الوضع في كل القارة السمراء.

وخلال عامين منحت فرنسا ١٤ مستعمرة فرنسية إفريقية سابقة استقلالاً وهمياً، مقابل اتفاق أمني مع باريس، اتضح فيما بعد أنه مخطط استعماري ولكن بحلة جديدة، يُلزم المستعمرات السابقة بوضع ٨٥٪ من دخلها تحت رقابة البنك المركزي الفرنسي، وإعطاء الشركات الفرنسية الحقوق الحصرية في الحصول على أية مواد خام تُكتَشف في أراضي مستعمراتها الأربع عشرة.

وفعلاً استطاعت فرنسا أن تُدخل إلى خزينتها بموجب هذا الاتفاق حوالَي ٥٠٠ مليار دولار كل عام، على مدار نصف قرن تقريباً، بينما يعيش الأفارقة تحت وطأة الفقر والجوع والأمراض والتخلف.

لكن (فرانس -أفريك) لم تطبق سياستها القذرة بشكل علني وفاضح، بل ألبست مشاريعها لبوساً جميلاً كالديمقراطية، حقوق الإنسان والحريات، وصارت تمد أذرعها المخابراتية في كل بلدان القارة، وعملت على شراء ذمم النُخب الحاكمة، ما سهّل توغل الشركات في أوساط السياسة والاقتصاد، فكان لها اليد الطولى في نحو ٢٠٠ محاولة انقلابية حصلت في إفريقيا منذ عام ١٩٥٠.

ولابدّ أن نذكر هنا أن رئيس غينيا (أحمد سيكوتوري) عندما رفض اتفاقية التبعية السياسية والاقتصادية لفرنسا سنة ١٩٤٤، أغرقت المخابرات الفرنسية غينيا بالعملات المزيفة فدمرت اقتصادها.

كما جرى في نهاية ١٩٦٠ تسميم الطبيب والسياسي المعارض لفرنسا، الكاميروني (فيليكس موميه) في مطعم بجنيف، فقط لأجل تثبيت حكم الرئيس (آحجو) لكونه (دمية فرنسا).

وفي بداية عام ١٩٦٣، قامت المخابرات الفرنسية بالانقلاب على سيلفانوس أولمبيو، رئيس جمهورية توغو، لأنه تجرّأ وأصدر عملة توغو الوطنية.

بعد عام فقط، قامت القوات الفرنسية بعملية إنزال في (ليبرفيل) عاصمة الغابون وأعادت حليفها إلى الحكم، كما فرضت على شعب ساحل العاج، الحسن واتارا، رئيساً خلفاً للرئيس غباغبو، الذي أرسلته معتقلاً إلى محكمة العدل الدولية، وأطاحت برئيس جمهورية إفريقيا الوسطى (بوكاسا) فقط لأنه أراد بناء علاقات مع القذافي، وهكذا في تشاد، مالي، السنغال وغيرها.. واليوم تريد فرض الرئيس محمد بازوم على النيجر.. فماذا يوجد خلف أكمة النيجر؟

حمّى اليورانيوم

يعتبر اليورانيوم العامل الأول والأقوى لإثارة الشهية الاستعمارية، لدى فرنسا، فلم يكن التدخل الفرنسي في مالي، وارتكابها مجازر هناك، سوى لحماية مواقع إنتاج (اليورانيوم) التي تديرها شركة (أريفا) الفرنسية الحكومية، في دوله النيجر القريبة من مالي، فنصف اليورانيوم الذي تحتاج إليه (فرنسا) لتشغيل مفاعلاتها النووية تحصل عليه من تلك الصحراء الغنية بالغاز، والبترول والذهب، وليس كما ادعى الرئيس الفرنسي الأسبق (فرانسوا هولاند)، يومذاك، كذباً أنه كان لحماية المدنيين، بحسب مدير مرصد الأبحاث النووية الفرنسية (سيتفان لوم) في صحيفة (لوموند).

تبلغ مساحة النيجر تقريباً ضعفي مساحة فرنسا (١,٢٧٠,٠٠٠ كم مربع)، يعيش على هذه المساحة قرابة ٢٤ مليون إنسان، يعانون من أقسى أنواع الفقر، فبلادهم الغنية بالثروات تعد إحدى أفقر دول العالم وأقلها نمواً على الإطلاق، إذ تغطي الصحراء الكبرى كل الشمال والشرق النيجري، ما يقرب من ٨٠٪ من إجمالي مساحة البلاد، لكنها من أكثر المناطق في العالم غنىً باليورانيوم، والمفارقة الأكبر هي أن سكان تلك المناطق القاحلة يعيشون فقط على رعي الماشية ويشتكون دائماً من أن الحركات الكشفية والتنقيبية عن اليورانيوم تقلّص المساحات الصالحة للرعي.

وتحتل النيجر المرتبة الرابعة عالمياً في إنتاج اليورانيوم بعد كازاخستان وكندا وأستراليا، لكن اليورانيوم لم يجلب للنيجر سوى الفقر والخراب، فيما تحصد فرنسا كل الغلال، وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً عبر شركة (أريفا- Arriva)، التي تحتكر المناجم، بشكل شبه كامل، وتمدّ فرنسا بما يقارب الـ٤٠٪ من احتياجاتها من الطاقة النووية التي تساهم بأكثر من ٧٥٪ من الطاقة الكهربائية الفرنسية.

في حين لم تتجاوز مساهمة عائدات اليورانيوم لعام ٢٠٢٠ في الميزانية الوطنية للنيجر ١,٢٪.

ويمارس المسؤولون عن الشركة (Arriva- أريفا) الكذب ذاته الذي مارسه كل رؤساء فرنسا، مدّعين أنه منذ إنشاء الشركة، وحتى نهاية ٢٠٢١، استفادت النيجر من ٨٥٪ من الانعكاسات الاقتصادية المباشرة لشركات التعدين، تمثلت في دعم البنى التحتية وغيرها، متناسين أنّ بلدات عديدة في شمال البلاد تُركت غارقةً في ملايين الأطنان من النفايات المشعّة، وأن الأشخاص الذين يعيشون في المنطقة يتعرّضون لمستويات من الإشعاع (أعلى من الحدود التي أوصى بها خبراء الصحة العالمية بكثير)، ويتناسون أيضاً أن الأمم المحتدة تُصنّف النيجر كأسوأ اقتصاد في العالم وأكثرها هشاشة.

اليورانيوم الدموي!!

والجدير ذكره أن مسألة اليورانيوم تحولت مرات عديدة إلى مواجهة سياسية اقتصادية مع فرنسا، انتهت غالباً بالانقلابات الدموية، أو الاغتيالات أو الاعتقالات.

فعندما طالب الرئيس النيجري الأسبق (ديوري) -عقب قرار فرنسا الاعتماد على الطاقة النووية على خلفية تفاعلات أزمة النفط ١٩٧٣- بزيادة حصة بلده من عائدات اليورانيوم التي تستخرجها الشركات الفرنسية من النيجر، ردت عليه فرنسا بتدبير انقلاب عسكري دموي في نيسان (أبريل) ١٩٧٤ بقيادة الجنرال سيني كونتشي.

وفي عام ٢٠٠٧، طالب الرئيس (تانجا) بزيادة تصل إلى نسبة ٤٠٪ في سعر شراء اليورانيوم، (تدفع شركة أريفا للدولة النيجرية نحو ١٥٠ مليون يورو مقابل اليورانيوم، بالإضافة إلى مئة مليون يورو على شكل ضرائب، وهو ما يمثل نسبة ٥,٥٪ فقط من اليورانيوم المنتج)، واستمرت المواجهات السياسية حتى تمت الإطاحة بنظام (تانجا) المتمرد على الوصاية الفرنسية في ٢٠١٠، وتنصيب صديقها (محمد إيسوفو) المهندس السابق في

تبلغ مساحة النيجر تقريباً ضعفي مساحة فرنسا (١,٢٧٠,٠٠٠ كم مربع)، يعيش على هذه المساحة قرابة ٢٤ مليون إنسان، يعانون من أقسى أنواع الفقر

تساهم النيجر، الدولة الأفقر والأكثر هشاشة اقتصادياً واجتماعياً، البلاد شبه المظلمة طوال العام، عبر ثرواتها المنهوبة في إنارة ٩٠٪ من فرنسا

(أريفا)، وإعطاء النيجر بعض الامتيازات لكنها بقيت حبراً على ورق إلى يومنا هذا.

اليوم وبعد ان أطاح العسكر بالرئيس بازوم، جن جنون (الايليزيه) ومعه البيت الأبيض، ولم تكتف فرنسا والولايات المتحدة بالتنديد بالانقلاب والتأكيد على ضرورة احترام الشرعية الدستورية (المسرحية ذاتها في كل مرة) وعلى أن يظل (بازوم) رئيساً للنيجر (كونه مطيعاً لها)، بل شنت باريس هجمات جوية وأرسلت مئات الجنود إلى مالي المجاورة للنيجر للتصدي لمتمردين (وهذا تدخّل علني فاضح)، وأعلنت فوراً عدة قرارات عقابية، وذلك في اجتماع لمجلس الدفاع والأمن القومي المخصص للنيجر برئاسة ماكرون، ومنها بحسب بيان وزارة الخارجية الفرنسية: تعليق جميع الإجراءات الخاصة بالمساعدات التنموية التي تقدمها للنيجر، وتعليق كل ما يخص دعم ميزانية الدولة الواقعة غرب إفريقيا.

نعم، فالانقلابيون أعلنوا ولو ضمنياً قربهم للدب الروسي (حذر الرئيس المخلوع (بازوم) من أنه في حال استلم الانقلابيين الحكم، فسيكون لروسيا صولة وجولة في النيجر، متهماً قوات فاغنر بدعم الانقلابيين) هذا يعني فيما يعني، إخراج النيجر الغنية باليورانيوم من معادلات الاقتصاد والأمن القومي الفرنسي، أو بالأحرى إخراج المهرج الفرنسي من الحياة السياسية والاقتصادية للنيجر.

المضحك المبكي

من أبرز سمات العلاقة المختلة بين شمال العالم الرأسمالي، وجنوبه الفقير، أن تساهم النيجر، الدولة الأفقر والأكثر هشاشة اقتصادياً واجتماعياً، البلاد شبه المظلمة طوال العام، عبر ثرواتها المنهوبة في إنارة ٩٠٪ من فرنسا، وأن تكون أحد أغزر الشرايين التي تغذي الاقتصاد الفرنسي وتبقيه على قيد الحياة.

فرنسا التي قامت بما يزيد على ٣٥ تدخلاً بين عامي ١٩٦٠ و٢٠١٧ في الدول الإفريقية، متذرعةً في كل مرة بحجة حماية مصالحها السياسية والثقافية والاقتصادية والدفاعية والأمنية، والدفاع عن حقوق الشعوب، ونشر الديمقراطية، تُركز اليوم في خريطة انتشارها العسكري الجديد على بلدان إفريقية ثلاثة هي: مالي، النيجر، وتشاد، يليها موريتانيا وبوركينا فاسو في المرتبة الثانية، وقد قررت تجهيز ودعم قواعد (نجامينا) في تشاد، ونيامي بالنيجر، و(غاو) و(تساليت) في مالي، في حين تعد قاعدة (ماداما) في شمال النيجر، بمثابة أحدث تطور في عملية الانتشار العسكري الفرنسي بالساحل الإفريقي.

العم سام والأربعون حرامي

إضافة إلى اليورانيوم تمتلك النيجر احتياطيات نفطية كبيرة، تقدر بنحو ٣٢٤ مليون برميل، الأمر الذي أثار شهية الذئب الأمريكي. فأعلن وزير الدفاع الأمريكي الأسبق (روبرت غيتس) عام ٢٠٠٧ أمام لجنة التسليح بمجلس الشيوخ الأمريكي عن تشكيل قيادة عسكرية أمريكية في إفريقيا سماها (أفريكوم) (على غرار فرانس-أفريك) ، وبذلك انتقل الأمريكان من مرحلة التعاون العسكري مع البلدان الإفريقية إلى مرحلة إنشاء قواعد واكتساب حضور عسكري مباشر في القارة، وهو المشروع الذي أرادت من خلاله الولايات المتحدة ضمن أهداف استراتيجية عدة، وضع اليد على منابع النفط الإفريقية التي تشكل ٢٥٪ من المخزون العالمي وتأمين تدفق إمدادات النفط الإفريقي الأقرب إلى السواحل الأمريكية، وبالفعل فقد حصلت شركة (هانت أويل) الأمريكية على حق استخراج النفط من جبال (دجادو) شمال النيجر، وعبرت فرنسا يومها عن امتعاض شديد من تنامي العلاقات العسكرية والاقتصادية الأمريكية مع بلدان غرب إفريقيا وحصول الشركات الأمريكية والكندية على رخص تنقيب واستثمار في النيجر) تمتلك شركة (كاسيدي غولد كورب Cassidy Gold Corp) الكندية أكبر منجم للذهب في البلاد بهضبة سميرة بمقاطعة تيرا.

مربط الفرس...في موسكو؟؟

لقد ضمنت المستعمرات الإفريقية للشركات الفرنسية استغلال الموارد الاستراتيجية كالألماس واليورانيوم والغاز والنفط، فنجد اليوم في خزانة الاقتصاد الفرنسي، أكثر من ألف شركة كبرى، تعمل على الأراضي الإفريقية و٢١٠٠ شركة متوسطة وصغيرة، ومعظم استثمارات توتال في قطاع النفط والطاقة، أضف اليها احتكار شركة (إلستروم) لقطاع النقل. و(بويغ) في البناء والعقار. واحتكار شركة (أورانج) لكل قطاع الاتصالات. ولا ننسى تحكّم (بي إن بي) الشركة العامة في قطاع البنوك. وصفقات شركة الطائرات (إيرباص)، وأخيراً والأهم صفقات شركات السلاح الفرنسية.. بعد كل هذا المحصول، من الطبيعي أن يمتعض لابل ويجن جنون الفرنسي من وصول قيصر روسيا إلى قلب مستعمراته ويدعمها بآلاف الأطنان من القمح مجاناً.

تخوف فرنسا الشديد من دخول روسيا إلى القارة، تدل عليه الزيارات الـ١٨ قام بها الرئيس الفرنسي الحالي ماكرون، منذ عهدته الأولى، إلى دول القارة السمراء، بحجة أنه يخوض معركة وجود في إفريقيا بعد التراجع المريع في نفوذ فرنسا السياسي والثقافي، محاولاً الالتفاف على النتائج الكارثية لسياسات فرنسا القديمة عبر صياغة نهج ربما جديد. فيما يرى متخصصون من معهد (تشات هام هاوس) البريطاني أن ماكرون يهدف من جولاته هذه إلى البحث عن مواجهة روسيا في إفريقيا، إضافة إلى تقليص البعد العسكري في العلاقات مع هذه القارة حتى لا يفقد ما تبقّى من مكاسب هناك.

لعل منْ نافلة القول أنه: ربما تغير شكل التدخل اَلفرنسَي في الأمم الإفريقية، من العسكري إلى السيطرة الناعمة، إلا أن الجوهر الاستعماري لكل عمل سياسي وعسكري لفرنسا لم ولن يتغير.

إذ تعتبر فرنسا تلك المستعمرات، بالنسبة لها مصدر حياة يجب عليها التمسك به بكل قواها، وحتى عندما خرجت من مستعمراتها، تركت وراءها يدها الطويلة وعصاها الغليظة، القادرة على تغيير خرائط السلطة والتحكم بمصادر الثروة والنفوذ حينما تشاء، كيفما تشاء.

نعم لقد تركت رجالها الذين صنعتهم، وأفلتت لهم الأعنة كي يعيثوا في شعوبهم بطشاً وفساداً.

التاريخ يسجل أسماء العلماء ورجال الفكر الفرنسيين ولعل السياسي والقارئ المتابع يميز جيداً بين الشعب الفرنسي (المحكوم) والحكام، بين الشعوب المضطهدة والدول الاستعمارية التي تحاول أن (تغطي السماوات بالقباوات)

بانتظار القادمات من الأيام والأحداث، نسترجع ونؤكد ما قالته رئيسة الوزراء الإيطالية (جورجيا ميلوني) منذ زمن ليس بالبعيد، رداً على اتهام الرئيس الفرنسي لشعبها بأنهم عديمو المسؤولية، فقد قالت: (بما أن فرنسا تواصل استغلال إفريقيا عبر طباعة العملات لنحو ١٤ بلداص وتضع عليها ختمها، وعبر استغلال وتشغيل الأطفال في المناجم، وعبر الاستحواذ على المواد الأولية مثلما يحدث في النيجر، حيث تستخرج فرنسا ٤٠٪ من مخزون اليورانيوم الذي تستعمله في تسجيل مفاعلاتها النووية فيما ٩٠٪ من سكان النيجر يعيشون بدون كهرباء لا تقدم لنا الدروس يا ماكرون.

الأفارقة يهجرون قارتهم بسببكم وبسبب سياساتكم، والحل ليس تهجير الأفارقة إلى أوربا، بل تحرير إفريقيا من بعض الأوربيين، لا نقبل الدروس منكم، هذا واضح؟!).

كش ملك، مات.

العـــدد 1069 ـ الأربعـــاء 9 آب 2023

النيجر..
حلبـــة صـــــراع جديـــدة

» د. نهلة الخطيب

إلى أيّ مدى قد تحولت القارة السمراء لساحة صراع جديدة بين القوى العظمى الدولية مع توالي نقاط الاشتعال فيها، وآخرها الانقلاب في النيجر وأحداث السودان وغيرها؟ وإلى أين يقود انقلاب النيجر دول الساحل الإفريقي؟! فالعالم على صفيح ساخن حروب وصراعات هنا وهناك وانقلابات وتهديدات لأمن الطاقة والغذاء والبيئة والأمن الإنساني.

قد يكون الصراع في النيجر امتداداً للصراع الدائر بين الغرب والولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وروسيا والصين من جهة أخرى، مع تنامي دور روسيا والصين اللتين تحاولان اقتحام القارة السمراء وتحييد الدول الغربية، وقد يتيح الانقلاب للاعبين دوليين آخرين بسط نفوذهم هناك، تعاملت الدول الغربية مع هذا الانقلاب كأنه أول انقلاب، فلماذا هذا التشدد وخاصة من فرنسا التي تُعتبر الخاسر الأكبر؟؟

الغرب هو المسؤول عما وصلت إليه الأوضاع الإفريقية بسبب الآثار الموروثة من العهود الاستعمارية والاستغلال الغربي للثروات الإفريقية ونهبها والترسيم الاستعماري العشوائي للحدود بين الدول الإفريقية، فإفريقيا ما زالت تعاني حتى الآن من مشاكل معقدة على رأسها الفقر والمجاعات والجهل وانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة وانخفاض معدلات التنمية والتضخم السكاني، وأكبر مشكلة تواجهها إفريقيا وأكثرها كارثية هي احتدام أزمة الهوية بين العرقيات المختلفة، ومحاولة كل طائفة بسط نفوذها على مناطق معينة ورغبتها في الاستقلال الذاتي مما أوجد الصراعات العرقية والحروب الأهلية في شتى أنحاء القارة، وما زالت بعض الدول الإفريقية تشهد صراعات عرقية عنيفة كما في راوندا وبوروندي وأوغندا ومالي والسودان والصومال والنيجر، فهذه الدول تعاني مخاطر عدم الاستقرار السياسي، وهذه الصراعات تؤدي إلى تدهور اقتصادي وانهيار لمؤسسات الدولة وانتشار الفساد والعنف، وهذا ما ينعكس سلباً على الأمن العالمي حسب اعتقاد الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، مما يجعل ذلك مبرّراً لتدخلها السافر بدعوى احتواء هذه المشاكل والمحافظة على السلم والأمن الدوليين. وعلى الرغم من التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها إفريقيا مؤخراً إلا أن هذه التحولات أفرزت أنظمة استبدادية شمولية قمعية بملامح ديمقراطية ليبرالية تحمي المصالح الاستراتيجية للغرب، وقد يستغلها في إثارة الصراعات واختلاق أزمات دائمة لشل مقدرتها على إدارة

إفريقيا ما زالت تعاني حتى الآن من مشاكل معقدة على رأسها الفقر والمجاعات والجهل وانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة وانخفاض معدلات التنمية والتضخم السكاني

شؤونها الداخلية والخارجية.

الأوضـــاع في النيجر تثير قلق الأمـــم المـتـحـدة والـــولايـــات المـتـحـدة الأمريكية والـدول الغربية وخـصـوصـاً فـرنـسـا، لا سيما أن الرئيس النيجيري المعزول محمد بازوم حليف للغرب وشريكهم الاقتصادي والأمني في معركتهم ضد المـتـشـددين، وهـو رجل فـرنـسـا الأخـيـر فـي دول الساحل الإفريقي، تعرض لانقلاب من قـادة الحرس الـرئـاسـي فـي النيجر في ٢٦ تموز من العام الجاري، وقام الجنرال عبد الرحمن تـيـانـي بـتـنـصـيـب نـفـسـه حاكماً للبلاد، وعمل على تعليق الدستور وحل جميع المـؤسـسـات الـدسـتـوريـة، وتوعّد بإيقاف صادرات الذهب واليورانيوم وإلغاء الاتفاقيات العسكرية مع فرنسا، وألغى مهمات سفراء النيجر لدى فرنسا ونيجيريا والولايات المتحدة الأمريكية، تزامنت هذه الأحداث مع خروج مظاهرات في العاصمة نيامي ملوّحين بالعلم الروسي، ومطالبين فرنسا بالتوقف عن سياستها الاستعمارية ومغادرة النيجر فوراً.

النيجر تقع غرب إفريقيا وتشكّل مركز الساحل الإفريقي إلى جانب تشاد ومالي، وهي دولة جارة والخاصرة الأمنية لكل من ليبيا والجزائر، على الصعيد الأمني قريبة من تهديدين خطيرين هما تنظيم بوكوحرام في تشاد والقاعدة في دول المغرب العربي ويمتد إلى مالي وموريتانيا، إضـافـة إلـى أنـهـا مـركـز لتهريب المـخـدرات والاتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية، وعلى الصعيد الاقتصادي لا يتجاوز الناتج المحلي في النيجر ١٤ مليار دولار ٢٠٢٢ على الرغم من أنها رابع دولة منتجة لليورانيوم العنصر الأساسي في الطاقة على مستوى العالم، إضافة إلى الذهب والألماس والفحم، فقد صنف النيجر إلى جانب تشاد وجنوب السودان ضمن أدنى مستوى من التنمية البشرية حول العالم، وهـذا ما يؤشر إلـى أن عـائـدات الـثـروات الاقتصادية للنيجر لا تساهم في تحسين الدخل القومي، بسبب الفساد والتدخل الدولي وخاصة فرنسا لاستثمار هذه الموارد لصالحها والمستفيدة من ٧٠٪ من اليورانيوم المنتج في النيجر، وهذا ما تسبب في حقن الشعب النيجري الذي يعاني الجوع والفقر المدقع والجفاف ضدّها، وإن خسارة فرنسا نفوذها في هذا البلد الإفريقي قد يلحق أضراراً كبيرة بملف الطاقة لدى فرنسا.

النيجر تقع غرب إفريقيا وتشكّل مركز الساحل الإفريقي إلى جانب تشاد ومالي، وهي دولة جارة والخاصرة الأمنية لكل من ليبيا والجزائر

تعد النيجر آخر معاقل النفوذ الفرنسي بعد انسحاب الدول الإفريقية واحدة تلو الأخرى مفضلين التعاون مع الصين وروسيا عوضاً عن فرنسا

وتـعـد الـنـيـجـر آخـر معاقل النفوذ الفرنسي بعد انسحاب الـدول الإفريقية واحدة تلو الأخرى مفضلين التعاون مع الصين وروسيا عوضاً عن فرنسا، ومركزاً لعمليات فرنسا المناهضة لـلـجـهـاديـيـن فـي منطقة الـسـاحـل بـعـد أن نُـقـلـت الـقـاعـدة الـعـسـكـريـة التي تضم ما يقارب ١٥٠٠ جندي فرنسي منذ نشوب خلاف بين فرنسا وكل من مالي وبوكينا فـاسـو، وفـي حال استمر الانقلاب في النيجر كما حدث في مالي وبوركينا فاسو يتوقع مـراقـبـون أن تفقد فرنسا آخر حليف لها في المنطقة.

المجموعة الاقتصادية لـــدول غـــرب إفـريـقـيـا (إيكواس) أدانـت وفرضت عـقـوبـات اقـتـصـاديـة على النيجر رداً على الانقلاب العسكري غير الشرعي، وأمهلتهم أسبوعاً للعودة عنه وإلا سيكون تدخل عسكري من دول المجموعة، ويقول مسؤول في إيكواس (إن التدخل في النيجر سيكون الخيار الأخير الذي ستطرحه الهيئة لاستعادة النظام السابق في البلاد، ولكن يجب الاستعداد لهذا الاحتمال)، وقد حذّر قادة الانقلاب في النيجر من أي تدخل عسكري في بلادهم معتبرين أن إيكواس تهدف إلى المصادقة على خطة عدوان عسكري ضد النيجر بمشاركة فرنسا، في الوقت الذي نددت فيه مالي وبوركينا فاسو بالعقوبات وهددت (أن أي تدخل عسكري ضد النيجر سيعد بمثابة إعلان حرب ضد مالي وبوكينا فاسو).

الوضع في النيجر لا يمكن فصله عما جرى في مالي وبوركينا فاسو اللتين شهدتا انقلابات عسكرية متعددة.

بانتهاء المهلة المحددة من إيكواس لا أعتقد تراجع قـادة الانـقـلاب عن قـرارهـم لأن الامـور وصلت إلى نقطة اللانهاية، وباعتبار أن الشعب التف حوله فهي ورقة رابحة لاستخدامها بأي مفاوضات مقبلة، واحتمالات أن يكون هناك تدخل عسكري ضعيفة لأن مجموعة الإيكواس اتـخـذت قـراراً متسرعاً نوعا مـا، وهـو خطير جداً ومن الصعب تطبيقه ومن الصعب الرجوع عنه، فالقضية فيها إشكالية عويصة وأعتقد أنه سيكون هناك تحضيرات عسكرية جدية وتظهر بشكل يوحي أن هناك تـدخّـلاً، الأمـور معقدة واحتمال تبقى بؤرة توتر وورقة للمساومات بين أيـدي اللاعبين الكبار الملفات كلها مرتبطة بعضها ببعض بانتظار الرابح في الحرب الروسية الأوكرانية!!

انقلاب النيجر.. لم يكن مفاجئاً!

» د. صياح فرحان عزام

كان من الواضح أن الـدول الإفريقية، وخاصة في منطقة الساحل، قد ضاقت ذرعاً بالوجود العسكري الفرنسي والأمريكي، خصوصاً بما لدى شعوب القارة من مخزون ذكريات مريرة من سنوات الاستعمار الغربي، وما تعرضت له من استعباد وعنصرية ونهب للثروات، ومعاناة من الفقر والجوع والأمراض، وأن هذه الشعوب بـدأت تعي أن مصلحتها تقتضي الخروج من هيمنة وقبضة القوى الاستعمارية، والبحث عن شراكات استراتيجية مع قوى دولية أخرى بعيداً عن منطق الهيمنة والاستتباع.

إن النيجر مثلها مثل بقية دول الساحل الإفريقي لديها مواقف وانطباعات سلبية تجاه الولايات المتحدة وفرنسا، فهي ترفض التدخل في شؤونها الداخلية، والمضي في استنزاف ثرواتها، كذلك أسهم الفشل الأمريكي والفرنسي في مواجهة المنظمات الإرهابية في تقوية هذه المنظمات وتوسيع سيطرتها، الأمر الذي أدى إلى مقتل آلاف المواطنين وتشريد الملايين، وانعدام الأمن وانتشار الفساد وفقدان التنمية.

إذاً، لم يكن مفاجئاً الانقلاب العسكري في النيجر الذي وقع يوم ٢٠٢٣/٧/٢٦ وأطاح بالرئيس محمد بـازوم، إذ إن أحجار الدومينو الفرنسي التي بدأت تتساقط في مالي وبوركينا فاسو، كانت مؤشراً على أن النيجر على الطريق، وأن آخر معاقل فرنسا في مستعمراتها الإفريقية السابقة سوف تلحق بمن سبقها، لكن لا فرنسا ولا الولايات المتحدة التي تعد من أكبر داعمي حكومة بازوم حاولتا تفادي الكأس المرّة، رغم أنهما تدركان أن القارة السمراء باتت ساحة صراع جيواستراتيجي، هما جزء منه في مواجهة روسيا والصين، نظراً لأهمية القارة سياسياً وأمنياً واقتصادياً.

ورغـم أن الانـقـلاب قوبل بموجة مـن الاستنكار والتنديد من جانب الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي والاتحاد الأوربي والولايات المتحدة وفرنسا ودول أخرى، إلا أن واقع الحال يشير إلى أن الانقلاب مـاض في طريقه، ولا مجال لإعـادة عقارب الساعة إلى الـوراء، وليس أمام الولايات المتحدة إلا التهديد بوقف دعمها الاقتصادي والمالي والأمني باعتبارها من أكبر الـدول المانحة للنيجر، كما أن فرنسا التي تحتفظ بـ١٥٠٠ جندي في النيجر وتعتمد بشكل أساسي على يورانيوم النيجر في تشغيل مفاعلاتها النووية ليس أمامها إلا الندم على خسارة آخر موقع قدم لها في القارة الإفريقية، وقد وصف الرئيس الفرنسي ماكرون الانقلاب بأنه (خطير جداً على المنطقة بأسرها) حسب زعمه.

ولـم يكن غريباً أن تشهد التظاهرات المؤيدة للانقلاب فـي العاصمة النيجيرية نيامي رفـع العلم الـروسـي مـن قبل المتظاهرين، ما يدل بوضوح على توق النيجيريين للتخلص من النير الفرنسي - الأمريكي الذي أطبق على أعناقهم طويلاً.

والجدير بالذكر أن قائد الانقلاب أوضح أن أسباب الانقلاب تدهور الوضع الأمني والاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى النزوح واستمرار الإرهاب.

على كل حـال، يأتي هذا الانقلاب في إطـار تراجع النفوذ الفرنسي والأمريكي بشكل عام.

العـــــدد 1069 ـ الأربعـــــاء 9 آب 2023

أزمة تفضح انعدام الأمن والأمان السويدي

نشرت الكاتبة والصحفية أليزابيث أوزدالغا Elisabeth Özdalga المقال التالي بتاريخ ٢٠٢٣/٠٧/٣١ في صحيفة Svenska Dagbladet السويدية.. ننشر وبتصرف ترجمته للعربية للاطلاع عليه.

» طلال الإمام

كانت السويد معروفة في العالم كساعٍ من أجل السلام وعدم الانحياز خلال فترة ما بعد الحرب، لكنها غيّرت مواقفها في وقت قصير ووضعت نفسها كتابع خلف الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي. من نتائج ذلك أنه خلال الحرب الجارية في أوكرانيا، لم تمتنع السويد – وفقاً لدورها السابق وارثها – عن اتخاذ مبادراتها الخاصة للتوصل إلى حلول سلمية فحسب، بل اتخذت موقفاً سلبياً تجاه مبادرات السلام الأخرى. لم تعد السويد دولة مستقلة (محايدة) في الشؤون الخارجية بهدف التعاون السلمي وإنما أصبحت جزءاً من تحالف عسكري هجومي. يحدث هذا التغيير أيضاً في وقت تتزايد فيه التوترات الجيوسياسية.

لقد وجدت السويد نفسها اليوم في وضع صعب، ترتعد من الخوف الذي يصعب على القادة السياسيين التعامل معه. من خلال عضوية الناتو، تم توسيع حدود التفكير بالحل الأمني السويدي، مما يعني أن القرارات المتعلقة بقضايا الدفاع المركزي تخضع لجهات فاعلة أقوى وأكثر تنظيماً. كيف ستسير عملية صياغة القرار الديمقراطي في ظل هذه الظروف الجديدة؟ ما هي سلطة الممثلين المنتخبين على التخطيط الاجتماعي والدفاعي المستقبلي؟ الحقيقة أن قرار الانضمام الى الناتو كان متسرعاً وأدى إلى الارتباك /التخبط والشعور بعدم اليقين بين الكثيرين فيما يتعلق بهذه القضايا وغيرها.

من علائم هذا التخبط حقيقة أن تدنيس القرآن بشكل استفزازي شل قدرة الحكومة الحالية على التصرف. لقد أدت المظاهرات العنيفة في الشوارع والاحتجاجات الرسمية في العالم الإسلامي إلى نوع جديد من عدم القدرة على التصرف.. فإذا حُظر حرق القرآن، فذلك يعني تلبية مطالب الجماعات الأجنبية، التي غالباً ما تكون متطرفة؛ أما إذا جرى الاصرار على الحق في تفسير حرية التعبير بحيث تستمر أيضاً وتتضمن حرق وتدنيس الكتب المقدسة – فحينئذ من المنتظر وقوع أعمال شغب واحتجاجات جديدة وتدهور العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع مختلف بلدان العالم.

جاء في آخر اقتراح من جهاز الأمن السويدي (Säpo) أن العلاقات المتوترة، خاصة مع الدول الإسلامية، يمكن أن تؤدّي إلى تدهور الوضع الأمني. تتحول السويد من كونها هدفاً (شرعياً) إلى هدف (ذي أولوية) للأعمال الإرهابية. كلفت الحكومة العديد من الهيئات لتعزيز قدرة السويد على منع أعمال الإرهاب. كما تطلب الشرطة من السكان الانتباه، وزيادة اليقظة، والامتناع عن استخدام سماعات الرأس أثناء التجوال في المدينة.

نعم، وجدت السويد نفسها في وضع أمني متدهور، لكن الأمر لا يتعلق فقط بحرق المصاحف والإسلاميين الغاضبين أو الأنظمة الرجعية في الشرق الأوسط. إنه يتعلق أيضاً بتحالف السويد مع قوة عظمى لها سمعة سيئة لدى أجزاء كبيرة من العالم /غير الغربي، وخاصة في العالم الإسلامي. ربما لم يكن من قبيل المصادفة أن تكون السفارة السويدية في بغداد هي الأكثر تضرراً. اذ لا يزال الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣ وملايين العراقيين الذين فقدوا أرواحهم نتيجة هذه الحرب العدوانية حاضرين في أذهاننا. يضاف إلى ذلك عقوبات اقتصادية قاسية في العقد السابق للغزو، والتقنين الصارم للكهرباء، لا يمكن نسيان الدمار الذي خلفه الغزو الأمريكي، الشيء نفسه في أفغانستان، وليبيا. لا يمكن نسيان هذه المظالم بسهولة.

يشترك في هذه المشاعر أيضاً جمهور مسلم أوسع، كما يتضح من حقيقة أن منظمة المؤتمر الإسلامي المكونة من ٥٧ دولة، عقدت عدة اجتماعات تلتها تصريحات حادة ضد حرق القرآن، موجهة في المقام الأول إلى السويد، وكذلك الدنمارك. هنا يظهر تضامن يمتد من المغرب في الغرب إلى إندونيسيا شرقاً. إن حقيقة أن السويد لم تعد دولة غير منحازة، ولكنها تشكل الآن جزءاً من منظمة حلف شمال الأطلسي العسكرية بقيادة الولايات المتحدة، يجب ألا تكون قد غابت عن ذهن أي من المشاركين في اجتماعات منظمة المؤتمر الإسلامي. لكن وبغض النظر عن العلاقة التي تربط كل دولة بمفردها فيها بالقوة العظمى للولايات المتحدة الأمريكية، فإن التطور الأخير يعني أن النظرة الى السويد قد تغيرت.

يجب على السويد الآن أن تقف وتتحمل عواقب سياسة التحالف الجديدة. إذا سُمح بمناقشة قضية الدفاع بشكل واسع ومتعدد الأوجه مع فرصة للتفكير وتحليل النتائج – أي إذا سُمح أن يكون النقاش حول الناتو قضية انتخابية أو إذا سُمح بإجراء استفتاء يسبق قرار الانضمام للناتو، عندئذ يمكن تجنب بعض التوتر والقلق الذي ينتشر الآن في أوساط الحكومة والسلطات.

بكلمة، لم يعد (صُنع في السويد) رمزاً واضحاً للسلام.

تركيا.. لبنان أخرى وانهيارها حتمي

يواجه عدد من دول العالم، وبضمن ذلك بعض الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية، خطر الإفلاس على غرار لبنان، إلا أن تركيا يمكن أن تكون في الصدارة.

يبدو أحد جوانب الوضع التركي في أن معدل الفائدة (١٧,٥٪) أقل بكثير من التضخم (٣٨,٢٪). ويعني ذلك أنه عند اقتراضك ١٠٠ ليرة تركية، يتعين عليك سداد ١١٧,٥ ليرة بعد عام، إلا أن القيمة الحقيقية لتلك الأموال، مع الأخذ في الاعتبار معدل التضخم، ستكون حوالي ٨٠ ليرة في حينها. أي إنه من المربح للغاية الحصول على قرض، على سبيل المثال، وشراء العقارات بهذه الأموال، وأخذ قرض جديد بضمان هذا العقار، والدوران في هذه الدائرة. أي إن هناك فقاعة عملاقة تتضخم في تركيا، وسوف تنفجر مع أول محاولة لتقليص الهوة بين سعر الفائدة والتضخم. سيحدث حينئذٍ انهيار هائل وإفلاس واسعٍ، وتلك مسألة وقت لا أكثر.

ومن المستحيل الاستمرار في اتباع مثل هذه السياسة المجنونة لفترة طويلة (عندما يكون التضخم أعلى بكثير من سعر الفائدة)، لأن التضخم المفرط سيبدأ عاجلاً أم آجلاً. وكانت تركيا تتجه نحو تضخم مفرط (دعونا نتذكر أن التضخم كان ٦٤٪ في عام ٢٠٢٢ ويبلغ الآن ٣٨,٢٪)، إلا أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ظهر وبدأ في إمداد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالغاز مجاناً، أي بالقروض، مع تأجيل الدفع حتى ٢٠٢٤، وكتبت الصحافة الروسية عن مبلغ ٢٠ مليار دولار، رغم عدم تأكيد ذلك رسمياً.

بطبيعة الحال، فإن النفط الروسي الرخيص، والغاز الروسي المجاني، والقمح الروسي الرخيص، حقق المعجزة، وخفض التضخم في تركيا إلى النصف تقريباً في النصف الأول من العام، إلا أن هذا لا يمكن أن يستمر إلى الأبد، وفي عام ٢٠٢٤ سيأتي الحساب.

ولا يمكن اعتبار خطوات السياسة الخارجية الأخيرة للرئيس التركي خارج هذا السياق، إذ يحاول السيد أردوغان، بالوقوف على حافة الهاوية الاقتصادية، أن يفعل المستحيل: أن يتغلب على قوانين الطبيعة ويمنع مخطط بونزي، أي منع هرم الديون من الانهيار. لكن جوهر هذا المخطط هو الحاجة المستمرة لزيادة الديون بمتوالية هندسية من أجل الحفاظ عليه، وهو ما يصبح مستحيلاً في مرحلة معينة.

بالطبع يحاول الرئيس التركي المساومة، وإطلاق الوعود بقبول انضمام السويد إلى (الناتو)، ويجدد من صداقته مع واشنطن، ويدعم بشكل غير متوقع مطالب موسكو بشأن صفقة الحبوب، إلا أن الوضع أصبح يشبه من يبيع آخر أثاث بيته قبل الإفلاس الوشيك.

على كل حال، يجب على أولئك الذين يعتقدون أن رجب طيب أردوغان غيّر مساره فجأة إلى مواجهة روسيا أن يتذكروا أنه في العام المقبل لن تضطر تركيا إلى سداد ديون روسيا فحسب، بل ستحاول أيضاً العثور على أموال لشراء الغاز الروسي للعام المقبل ٢٠٢٤. ولا أقول إن ليس لدى أنقرة أوراق رابحة، ولا يمكن كذلك وصف مواقف موسكو بأنها رابحة من جانب واحد. ومع ذلك، فإذا كان الخلاف مع تركيا سيؤدي إلى تعقيد الوضع قليلاً بالنسبة لروسيا، فإنه يعني بالنسبة لتركيا كارثة اقتصادية فورية.

لذلك، أنا لا أتوقع تشدّداً حادّاً في سياسة أنقرة تجاه موسكو على أقل تقدير. اللهم إلا إذا لم تظهر واشنطن فيضاً من الكرم، وتغدق من عطاياها، وتمنح تركيا، إضافة إلى أوكرانيا، دعماً كاملاً. لكن، ومع المشهد المرعب لعجز الميزانية الأمريكية، فإن اقتصاد الولايات المتحدة نفسها يتجه نحو الركود في محاولة لخفض الإنفاق، لهذا لا أؤمن بهذا الاحتمال.

باختصار، سيكون عام ٢٠٢٤ عاماً مدهشاً للغاية.

ألكسندر نازاروف -
روسيا اليوم

النفط الروسي الرخيص، والغاز الروسي المجاني، والقمح الروسي الرخيص، حقّق المعجزة، وخفض التضخم في تركيا إلى النصف تقريباً، إلا أن هذا لا يمكن أن يستمر إلى الأبد

العـــدد 1069 ـ الأربعـــاء 9 آب 2023

دام عزكم.. ما رأيكم؟

بقلم: ريم سويقات

(السورية للتجارة).. تدخّل سلبي بدل الإيجابي

ربما أصبح اليوم الذي لا يستيقظ فيه السوري على خبر ارتفاع أسعار السلع، يوماً جميلاً أشبه بالحلم، لكن الحكومة بمؤسساتها المختلفة لا تمنحه سوى أن يحلم بكابوس ارتفاع الأسعار كل يوم، حتى طال غلاء الأسعار مؤسسات السورية للتجارة التي كانت تقدم السلع الاستهلاكية (المدعومة) بسعر أقل من السوق، فقد زادت أسعار مبيع موادها يوم السبت، بنسبة تتراوح بين ٢٥ – ٣٠ ٪ وأكثر في بعض السلع.

يتساءل مواطنون حول مصداقية التدخل الإيجابي الذي ادّعته السورية للتجارة بهدف تخفيف الأعباء عن المواطنين، حسب ما أكده مدير المكتب الصحفي في وزارة التجارة الداخلية، صفوان درغام، نهاية الشهر الماضي لصحيفة (الوطن)، حين قال: (إن الأسعار في الصالات تقريباً ثابتة، وشهدت زيادة بسيطة جداً مؤخراً، لكنها لم تشهد زيادة كبيرة كما يحدث للأسعار في السوق حالياً)، مضيفاً: (إن ذلك يعتبر بمنزلة مشاركة للرقابة التموينية في ضبط السوق).

ورفعت السورية للتجارة أسعار مبيع موادها فأصبح الأرز ١٣٥٠٠ ليرة وكان ١١ ألفاً، والسكر ارتفع من ١١ ألفاً إلى ١٢٥٠٠ ليرة، والزيت من ١٧ ألفاً إلى ٢٠ ألف ليرة، أما السمنة النباتية فارتفعت من ٢٢ إلى ٢٥ ألف ليرة، فيما ارتفعت المنظفات بنسبة ١٠ إلى ٢٠٪.

وبعد أن كانت معظم المواد المذكورة آنفاً طعام الفقير نظراً لتوفرها ورخص ثمنها مقارنة بأنواع أخرى من الطعام كاللحوم والفواكه والمكسرات وغيرها.. يراها السوري اليوم تدخل في عداد طعام الأغنياء وسط غلاء معيشي لا ينسجم مع القدرة الشرائية الضعيفة للمواطن ذو الدخل المحدود.

أيها السادة، بات واضحاً بشكل جليّ للمواطن أن الحكومة تنسحب تدريجياً من كل أشكال الدعم التي كانت تقدم للمواطن، الأمر الذي تجسد بقراراتها المستمرة لرفع الأسعار عن المواد المدعومة وغير المدعومة، حتى وصلت إلى محاربته بلقمة الطعام.

يُشار إلى أن وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك، كانت أعلنت في منتصف شهر كانون الثاني الفائت للعام الجاري ٢٠٢٣، عن دورة للمواد المدعومة شملت (سكر، رز، زيت نباتي، برغل، متة).

دام عزّكم، ما رأيكم؟!

وفد وزاري في الحسكة لمتابعة الواقع الخدمي للمحافظة وسبل دعمها

اطّلع وفد وزاري على الواقع الخدمي في محافظة الحسكة وسبل دعمها، نظراً لما تعانيه بسبب الإجراءات التعسفية التي يمارسها الاحتلالان الأمريكي والتركي، والميليشيات المرتبطة بهما بحق الأهالي في المحافظة.

ويضم الوفد كلاً من وزير الإدارة المحلية والبيئة المهندس حسين مخلوف، ووزير الموارد المائية الدكتور تمام رعد، ومعاون وزير الزراعة الدكتور فايز المقداد.

وبحث الوفد الوزاري خلال اجتماعه مع مديري الدوائر الرسمية وأعضاء مجلس الشعب عن المحافظة وممثلين من أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية والمنظمات الشعبية والنقابات المهنية، واقع المحافظة الخدمي والاحتياجات الأساسية، مشيراً إلى حرص الحكومة على تقديم كامل الدعم لتلبية احتياجات المحافظة.

وأوضح الوزير مخلوف أن أهالي الحسكة الصامدين يقارعون المحتلين الأمريكي والتركي ويتحملون كل ممارساتهما الإجرامية، وأهمّها حرمانهم من المياه وسرقة الثروات الوطنية من نفط وقمح، مشيراً إلى أن لقاء اليوم كان حواراً مفتوحاً تم خلاله طرح المطالب والمقترحات الخاصة بتحسين الواقع الخدمي، وتمت معالجة بعض القضايا بشكل فوري، وهناك قضايا سيتم نقلها إلى طاولة الحكومة لمعالجتها خلال الفترة القادمة.

ولفت الوزير مخلوف إلى أن هناك تكاملاً في العمل ما بين الأجهزة المحلية في المحافظة والوزارات والمؤسسات المركزية، حيث تم خلال العام الحالي منح محافظة الحسكة ٨ مليارات و٣٨٣ مليون ليرة سورية تحت عناوين مختلفة، كدعم للوحدات الإدارية والمساهمات والإعانات، مشيراً إلى أنه لن يدخر أي جهد لتحسين الواقع الخدمي وتقديم الإعانات التي تحتاجها المحافظة، حيث سيتم تقديم ضاغطة جديدة للنفايات ومجموعة من الصهاريج والجرارات.

من جهته أشار الوزير رعد إلى أن الزيارة تعكس الاهتمام الحكومي بمحافظة الحسكة والاستماع بشكل مباشر إلى الصعوبات التي تعترض الواقع الخدمي والعمل على معالجتها وتذليلها، مبيناً أنه فيما يتعلق بإيقاف تشغيل محطة علوك من قبل المحتل التركي، فإن الحكومة لم تتوانَ عن نقل هذه الجريمة إلى المجتمع الدولي، ومن خلال التنسيق مع جميع الجهات الدولية والأصدقاء ستتكلل هذه الجهود بالنجاح، وإعادة تشغيل المحطة وضخ المياه إلى الأهالي بأقرب وقت ممكن.

ولفت وزير الموارد المائية إلى أن جميع إمكانات الوزارة سيتم وضعها تحت تصرف المحافظة بهدف التخفيف على الأهالي، مشيراً إلى أنه يتم التنسيق حالياً لزيادة عدد محطات التحلية إضافة إلى الجهود المبذولة في نقل المياه عبر الصهاريج، حيث يتم توزيع المياه على حوالي ٦٠٠ خزان يومياً مع إمكانية زيادة عددها، كما سيتم توجيه مؤسسة المياه لصيانة الصهاريج المتوقفة عبر رصد الاعتمادات المالية اللازمة وتقديم مجموعة من الصهاريج لإيصال المياه إلى الأماكن التي لا تصلها المياه.

وبيّن معاون وزير الزراعة أنه تم الوقوف على الصعوبات التي تعترض الواقع الزراعي في المحافظة وسبل تجاوزها، مشيراً إلى أنه تم منح الموافقات الخاصة بتوزيع سلات زراعية لعدد من المنظمات والجمعيات، إضافة إلى العمل على فتح دورة علفية جديدة خاصة بمربي الثروة الحيوانية، وذلك حسب الإحصاءات المتوافرة في المحافظة.

لماذا صمت القيادة السياسية على قرارات القيادة الاقتصادية الليبرالية؟

لا للتفريط بملكية الدولة والشعب

» يوسف فرحة

(عضو الحزب الشيوعي السوري الموحد - عضو مكتب العلاقات الخارجية)

واهِـمٌ من يظن أن مجرد قبول عودة سورية إلى عضوية الجامعة العربية يعني تدفق المساعدات للشعب السوري - فهي خديعة أصابت الناس بالخيبة بل باليأس، وهذا يعني أن زيادة الضغوط الأميركية والصهيونية على الدول العربية المطبّعة لمنع أي دعم لسورية بات واضحاً، والمطلوب أمريكياً إفشال أي محاولة لإنقاذ بعض ما وصل إليه الوضع الداخلي السوري، ومنع أي محاولة لمساعدة الشعب السوري لتخفيف المعاناة والجوع.

لم تغيّر الإمبريالية الأمريكية وحلفاؤها أهدافها بعد فشلها في الحرب الإرهابية على سورية خلال اثني عشر عاماً، بل هي تعمل اليوم على أخذ سورية من الداخل، من خلال الحصار وتوتير الوضع الداخلي، وزيادة النزعات الانفصالية في الشمال والجنوب السوري، ومن خلال تدريب مجموعات العملاء والمرتزقة التي تدعمها بالمال والسلاح كما جرى مع قسد، والهدف من ذلك تفكيك الدولة السورية وتحويلها إلى دولة فاشلة، ترافق ذلك مع تراجع الأتراك عن وعودهم مع روسيا، فقد أعلن أردوغان أنه لن يسحب جيشه من الأراضي السورية.

ما يؤرقنا هو الصمت الرسمي السوري عما هو قادم من توجهات للحل السياسي للأزمة السورية، والحل الأمثل لوضع الشعب السوري الجائع خاصة أن (الدورة الاستثنائية) لمجلس الشعب الخاصة بدراسة الوضع الاقتصادي والمعيشي في سورية وما تمخض عنها من قرارات، أصابت الناس بخيبة أمل تضاف إلى خيبات مضت – ومع حرصنا الأكيد على الثوابت الوطنية في السياسة السورية، ومعارضتنا لما يصدر من قرارات اقتصادية ليبرالية تزيد من تدهور اقتصاد البلاد، وكذلك سباق الحكومة مع المضاربين في تعويم العملة السورية أمام العملات الأجنبية، والتنازل عن مؤسسات حكومية عريقة كمؤسسة الطيران العربية السورية لصالح شركة استثمارية خاصة بعقد استثمار بالتراضي، إنما يعني سرقة موصوفة لإحدى أهم مؤسسات القطاع العام، مقابل أرقام زهيدة خلال فترة زمنية تصل إلى عشرين عاماً، تؤدي إلى المزيد من تدهور الحالة الاقتصادية والمعيشية للمواطنين مع تدهور قيمة الليرة السورية، مما يزيد من معاناتهم ومآسيهم اليومية مع ارتفاع حريق الأسعار كما حريق سوق ساروجة الذي التهم أعظم القصور التراثية الدمشقية، لتنفيذ الأجندات القديمة المتجددة لهدم حي ساروجة التاريخي خدمة لحيتان المال ومافيات الفساد التي باتت لا تخجل من الإعلان عن استعدادها لجعل سورية لقمة سائغة يسهل هضمها - يترافق ذلك مع تجاهل حكومي كامل لحالات الجوع والحرمان والألم ولصراخ السوريين من أجل تأمين الغذاء والدواء، ومن أجل حماية مستقبل أطفالهم الذي صار في مهبّ الريح، تحت حجج الحصار والعقوبات المفروضة على سورية، علماً أن كل المواد الغذائية والدواء مستثناة من هذه القوانين الظالمة، ويجري في الوقت نفسه استيراد مواد غذائية باهظة الثمن: الكافيار من عدة أنواع، والويسكي، وحتى السيارات موديل ٢٠٢٣ التي تباع بالمليارات.

وما يثير القلق أيضاً انفتاح الإعلام على استقبال أحد الكتاب المصريين المطبعين يوسف زيدان على شاشة المحطات السورية، دون أن يثير ذلك أيّ اهتمام أو محاسبة من المسؤولين رغم الغضب الشعبي من هذه المواقف.

إن خطورة الوضع السياسي والاقتصادي الراهن في سورية وعدم وضوح الأفق للحل، والإرهاصات التي نشهدها على مختلف جبهات الصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي وفي مجال الإعلام والتربية، يدفعنا للقول إن ما تعرضت له سورية وما زالت من الإرهاب والحصار والعقوبات الاقتصادية ليست منذ اثني عشر عاماً فقط بل منذ الثمانينات من القرن الماضي، يعيدنا هذا الوضع إلى الحلول التي كانت مختلفة، فقد أُعطيت مؤتمرات العمال والفلاحين صلاحيات واسعة آنذاك، وجرى الإصرار على دعم القطاع العام الاقتصادي الصناعي والإنشائي والزراعي والصحي والتعليمي، من خلال اتباع سياسة الأمن الغذائي الذاتي التي ضمنت الدولة السورية من السقوط، ووفرت الغذاء والدواء والتعليم والصحة والخدمات الأساسية للمواطنين.

ما يثير مخاوفنا اليوم، بعد أكثر من اثني عشر عاماً من الحرب الإرهابية على سورية، هو هذا التناقض الفاضح بين مواقف القيادة السياسية الوطنية المعادية للإمبريالية والصهيونية – ومواقف القيادة الاقتصادية التي تمعن في سياسة النهج الاقتصادي الليبرالي المدمر للبلاد وتسليم الوطن ومقدرات الشعب السوري إلى القطاع الخاص الطفيلي، ليقودنا إلى الاستسلام الكامل لدخول الشركات المتعددة الجنسيات، وفتح الحدود والمرافئ البرية والبحرية والجوية أمام كل من يتربص بسورية وشعبها وجيشها الذين قدموا التضحيات الجسام ومئات آلاف الشهداء من أجل الحفاظ على سورية موحدة وعلى كرامة الشعب السوري.

إن حرصنا على الثوابت الوطنية للسياسة السورية والإصرار على حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً، وتحرير الأراضي السورية المغتصبة من كل الاحتلالات الصهيونية والأمريكية والتركية، والحرص الأكيد على مصالح الشعب السوري وحقه في العيش الكريم، كانت وما زالت حجر الأساس في السياسة الوطنية لحزبنا، وكنا دائماً على استعداد لدفع ثمن رفض الإملاءات الإمبريالية التي تحاول الولايات المتحدة فرضها علينا، ونتساءل بعد كل ما جرى: أين نحن الآن؟ وماذا يعني الصمت؟ هل أُطلقت رصاصة الرحمة على تاريخ الصمود الحقيقي لسورية وللشعب السوري العظيم؟

آن للقيادة السياسية للبلاد أن تجيب على أسئلة المواطنين السوريين.. ومخاوفهم.

كندا – ٢٠٢٣/٠٨/٢

ضعاف النفوس يستغلونها بزراعة الخضار..

مياه الصرف الصحي تغزو عشرات الدونمات الزراعية بطرطوس!

» رمضان إبراهيم

رغم مضيّ أكثر من خمسة عشر عاماً، على الولادة اللاشرعية لظاهرة إرواء الأراضي القابلة للزراعة، بمياه الصرف الصحي، تمهيداً لزراعتها بالمحاصيل الصيفية والشتوية، ورغم أضرارها البيئية وأخطارها الصحية، إلا أن الحد منها للوصول الى القضاء عليها ما زال لتاريخه عصياً على أصحاب القرار.

فعشرات الدونمات الزراعية، ولا نبالغ إذا قلنا مئات، ما زال إرواؤها يعتمد على المياه الآسنة.

مياه الصرف الصحي تغزو عشرات الدونمات الزراعية في المحافظة، الأمر الذي أصبح يُشكلُ خطراً صحياً على مستهلكي هذه الخضروات، لما تحمله لهم من ملوثات نتيجةً لسقايتها الدائمة بمياه الصرف الصحي، وما زاد من الهواجس والمخاوف هو تسبّبها بالعديد من الأمراض خاصة الكوليرا، وغيرها من الأمراض الهضمية، خاصة أنها تباع ضمن الأسواق المحلية، دون أي رادع أخلاقي عند الذين أتوا بها إلى تلك الأسواق لبيعها للمواطنين.

ونتيجةً لضعف عمل محطات المعالجة فقد تحولت مصادر مياه الصرف الصحي إلى مصبّات دائمة للمياه الآسنة، ما أبقاها طبعاً عند البعيدين كل البعد عن أخلاقيات كار الزراعة مصدراً إروائياً لمزروعاتهم اللاصحية علماً أن هناك لجاناً مختصة لقمع هذه الظاهرة بقيت دون تفعيل.

الطبيب البيطري (حرب خليل) أوضح لنا أن تغذية المواشي بالمحاصيل العلفية المروية بالصرف الصحي لها، دون أدنى شكّ، انعكاساتها السلبية على صحتها لأن هذه المياه تسبب لها مشكلات مرضية وجرثومية وطفيلية وفيروسية، وينتقل المرض إلى المواشي، ومنها إلى الإنسان، وذلك عن طريق استهلاك منتجاتها من اللحوم والألبان، والأجبان، وأخطر الأمراض تأتي عن طريق التسممات الثقيلة، مثل الكلور والرصاص والكادميوم، إذ ترتفع نسبة هذه العناصر بالمحاصيل العلفية، المروية بالصرف الصحي، وعند تغذية الحيوانات بها تترسب بأعضاء جسمها، وتفرز بمنتجاتها.

أما مدير الصرف الصحي بطرطوس المهندس منصور منصور فقال لنا: من غير المقبول بتاتاً ولا المسموح به إرواء المزروعات بمياه الصرف الصحي قبل المعالجة، لما يسببه ذلك من أضرار بيئية وأخطار صحية، وهناك كتاب من المحافظ إلى البلديات لملاحقة هذه الزراعات وإتلافها. وقد طالبنا خلال أكثر من اجتماع بمواجهة هذه الظاهرة، وأكدنا ضرورة تشكيل لجنة من البيئة والزراعة والموارد المائية والمحافظة وقيادة الشرطة للكشف على الأراضي المروية بمياه الصرف الصحي ليصار إلى إتلافها.

مدير البيئة بطرطوس الدكتور محمد صالح أكد لنا أن هذا الأمر مرفوض رفضاً قاطعاً، وأننا على استعداد للكشف على هذه المزروعات ليصار إلى إتلافها، لما تشكله من خطر على الصحة والسلامة العامة.

وأضاف: إن خطر إرواء المزروعات بمياه الصرف الصحي من أخطر ما يهدّد الصحة البشرية، نظراً لاحتوائها على جراثيم وبكتيريا وعصيّات تشكل سبباً أساسياً للعديد من الأمراض الهضمية وعلى رأسها الكوليرا.

ويبقى أن نقول: في ظل الانتشار الواسع للأمراض، بات ضرورياً الحد ما أمكن من ظاهرة إرواء الأراضي بمياه الصرف، لما تحمله منتجاتها من أمراض وبائية، وفي النهاية فإن بتر المشكلة من جذورها يكمن في الإسراع بإحداث محطات معالجة ولاسيما في مدن المحافظة وقراها.

ارتفاع أسعار الغذاء

ارتفع مؤشر الأسعار العالمية لمنظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة للأمم المتحدة في تموز (يوليو) من أدنى مستوياته في عامين، مع صعود أسواق الزيوت النباتية بعد تجدد التوترات بشأن صادرات الحبوب من أوكرانيا والمخاوف بشأن الإنتاج العالمي. وقالت المنظمة يوم الجمعة إن مؤشرها، الذي يتابع أسعار السلع الغذائية الأكثر تداولاً عالمياً، بلغ في المتوسط ١٢٣,٩ نقطة في تموز (يوليو) مقابل ١٢٢,٤ نقطة بعد التعديل في الشهر السابق. وكانت قراءة حزيران (يونيو) في البداية ١٢٢,٣ وهي الأدنى للمؤشر منذ نيسان (أبريل) ٢٠٢١.

كانت قراءة تموز (يوليو) أقل بنسبة ١٢ في المئة تقريباً مما كانت عليه قبل عام، وأقل ٢٢ في المئة من أعلى مستوى لها على الإطلاق في آذار (مارس) ٢٠٢٢ بعد بدء الغزو الروسي لأوكرانيا.

وقالت الوكالة إن مؤشرها لأسعار الزيوت النباتية قفز ١٢ في المئة مقارنة بشهر حزيران (يونيو) بعد سبعة انخفاضات شهرية متتالية. وأضافت إن زيت دوار الشمس ارتفع بأكثر من ١٥ في المئة على أساس شهري، ويرجع ذلك أساساً إلى حالة عدم اليقين الناجم عن قرار روسيا الانسحاب من مبادرة البحر الأسود. كما أدت مخاوف الإنتاج وارتفاع أسعار النفط الخام إلى ارتفاع أسعار الزيوت النباتية الأخرى.

حنا مينة.. ملك من حارة الشحادين

» فادي إلياس نصار

ذات يوم من عام ١٩٧٠ كتب مبدع (الأبنوسة البيضاء) الرجل النبيل صاحب رواية (حارة الشحادين) التي سكب كل أخلاقه فيها، نعم، كتب المبدع الذي يعشق الكونياك الفرنسي مقالة يمجد فيها لينين (بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده)، بدأها بكلام أكثر من عميق، قائلاً: (سؤالي إليكم: متى يستقيم الصمت لغةً في الكلام).

كيف ما كان

حنا مينة، الذي ولد في يوم ١١ آذار من سنة ١٩٢٤، في مدينة اللاذقية، تقول عنه أمه: جبلتهُ الحياة كيف ما كان!

وعاش صاحب (الشراع) طفولته في إحدى قرى لواء الإسكندرون. ثم انتقل مع عائلته إلى مدينة اللاذقية عام ١٩٣٩، فكانت ملهمته بجبالها وبحرها. وقد عمل في بداية حياته حلاقاً وحمالاً، ثم بحاراً وصياداً على السفن والمراكب. كذلك عمل مُصلّح دراجات، ومربّي أطفال في بيت سيد غني، ثم عاملاً في صيدلية، وصولاً إلى كاتب مسلسلات إذاعية للإذاعة السورية باللهجة العامية، إلى موظف في الحكومة، كان كل ذلك قبل أن يبدأ بخطّ أولى رواياته. وفي عام ١٩٤٧ استقر به الحال بالعاصمة دمشق، فعمل في الصحافة، وتحديداً في جريدة (الإنشاء) الدمشقية حتى أصبح رئيس تحريرها.

ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد الكتاب العرب.

مؤمن حتى الموت

أواسط القرن الماضي خسر حنا مينة ابنه البكر سليم، في ظروف النضال والحرمان والشقاء، وعلى الرغم من كل الألم والوجع الذي عاشه إلا أنه أصر أن يكون (مسيحاً) يصلب ويتألم في سبيل الآخرين، أصّرَ أن يكون قدوةً في الكفاح يُحتذى بها فهو يقول: أنا كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين، فالكفاح له فرحه، له سعادته، له لذّته القصوى، عندما تعرف أنك تمنح حياتك فداء لحياة الآخرين، هؤلاء الذين قد لا تعرف لبعضهم وجهاً، لكنك تؤمن في أعماقك، أن إنقاذهم من براثن الخوف والمرض والجوع والذل، جدير بأن يضحّى في سبيله، ليس بالهناءة وحدها، بل بالمفاداة حتى الموت معها أيضاً.

بحري بامتياز

لقد نزف صاحب (نهاية رجل شجاع) أحاسيسه العميقة والصادقة، على الورق، بكل دقة وأناة، منجزاً أعماله الروائية والقصصية، واصفاً البحر بدقة لم يسبقه اليها أيٌّ من الأدباء العرب، فقد أجاد وأبدع فمدح ومجّد. وصف حياة الصيادين، وصراعهم مع الإقطاع على اليابسة ومع الأنواء وأخطار البحر، وسط الأمواج العاتية. وكتب يقول في ذلك:

لقد كان البحر دائماً مصدر إلهامي، حتى إن معظم أعمالي مبللة بمياه موجه الصاخب، طبعاً لم أقصد البحر بشيء. في بداياتي، إلا أن لحمي سمك البحر، دمي ماؤه المالح، صراعي مع القروش كان صراع حياة، أما العواصف فقد نُقشت وشماً على جلدي، إذا نادوا: يا بحر! أجبت: أنا البحر أنا، فيه وُلدت، وفيه أرغب أن أموت.. تعرفون معنى أن يكون المرء بحّاراً؟

تكاد تشعر بتنهّده، الممزوج بعرق البحّارة، وعمق حبه لكل ما يمتّ لليمّ ورائحة الملح البحري، بصلة، حين يقول:

البحّار لا يصطاد من المقلاة! وكذلك لا يقعد على الشاطئ، بانتظار سمكة السردين التافهة.

إنه أكبر، أكبر بكثير، وأنا هنا أتحدث

في عام ١٩٤٧ استقر به الحال بالعاصمة دمشق، فعمل في الصحافة، وتحديداً في جريدة (الإنشاء) الدمشقية حتى أصبح رئيس تحريرها

عن البحّار لا عن فتى الميناء!

فيما اعترف لي مرةً أن السؤال الذي كان يهرش عقله بشكل دائم كان: أليس عجيباً، ونحن على شواطئ البحار، ألا نعرف البحر؟ ألا نكتب عنه؟ ألا نغامر والمغامرة احتجاج؟ أن يخلو أدبنا العربي، جديده والقديم، من صور هذا العالم الذي هو العالم، وما عداه، اليابسة، جزء منه؟!

أمنيته

الروائي الذي أبدع (المصابيح الزرق)، رفض الخنوع، ناضل ومشى على الأشواك، فاضحاً كل أدوات الظلم وقسوة الجلاد، فقد قال ذات مرة: إذا كنت لا أستطيع، بمفردي، أن أزيل ظلم الحياة، فإنني أستطيع، بمفردي، ألا أصالحها، ولا أخافها.

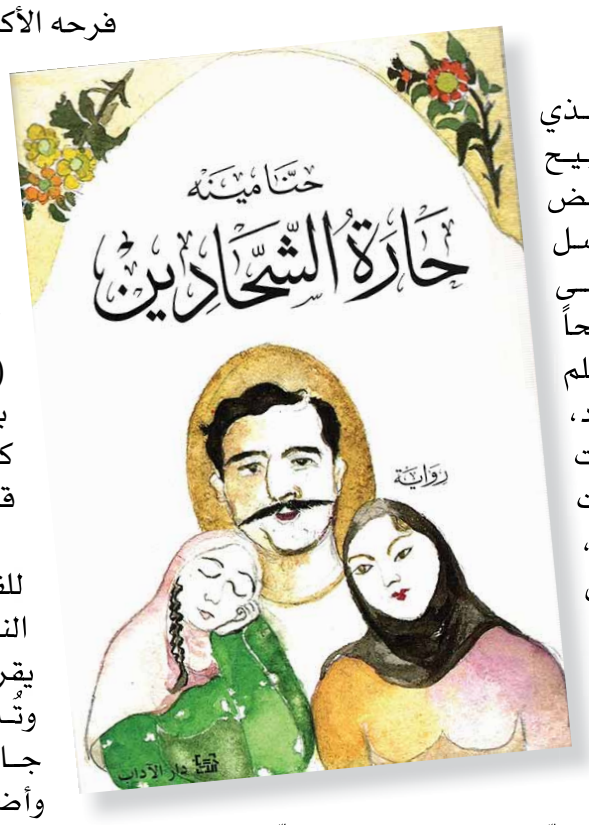

الكاتب الذي عبّ من هواء البحر المملّح ما يكفي لعمرين، انتقل للعيش في دمشق، في قبو، فبقيت في قلبه لوحة الموج الساحرة على صخور بانياس، معلقة كشهقة موت أخيرة، باح ذات مرةٍ بحلمه النبيل وأمنيتِه الراقيةً قائلاً:

أمنيتي الدائمة أن تنتقل دمشق إلى البحر، أو ينتقل البحر إلى دمشق، أليس هذا حلماً جميلاً؟! السبب أنني مربوط بسلك خفيّ إلى الغوطة، ومشدود بقلادة ياسمين إلى ليالي دمشق الصيفية الفاتنة، وحارس مؤتمن على جبل قاسيون، ومغرم متيّم ببردى، لذلك أحب فيروز والشاميات.

أنا لا أدّعي الفروسية، المغامرة نعم! أجدادي بحّارة، هذه مهنتهم، الابن يتعلم حرفة أهله، احترفت العمل في الميناء كحمّال، واحترفت البحر كبحّار على المراكب.

حنا وبولس

حنا الإنساني حد الثمالة، كان حين تسأله أمه (ماذا تكتب ياحنا؟)، كان يكذب عليها قائلاً:(قصة القديس بولس).

فترسم الصليب على صدرها وتقول: (يتمجّد اسمه! برابو لا تنسى أن تطلب منه أن يغيّر حالتنا التعيسة).

وهكذا كان هو وأمه ينشدان الهدف ذاته، ألا وهو تغيير الحال.

ويضيف حنا قائلاً: لكن أمي كانت تطلبه في السماء وأنا.. أطلبه في الأرض.

في تكريمه

يوم كرّمته الحكومة السورية بمنحه وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، قال ملك رواية (الشمس في يوم غائم): (لقد انتقلت من فقر أسود الى فقر أبيض)، ولكن كان فرحه الأكبر أنه كُرّم في معظم قرى سورية، وفي واحدة من حفلات التكريم تلك، وتحديداً في صيف سنة ٢٠٠٩، في مدينة حماة ردّ صاحب (الفم الكرزي) على وصفه بأنه كاتب أرثوذكسي، فقال: (أنا إنسان أرثوذكسي بسيط، ولكني لم أكن يوماً كاتباً أرثوذكسياً) وشدّد قائلاً:

(أنا أكتب لكل الناس، للفقير قبل الأمير. يقرأ الناس أدبي في الغرب كما يقرؤونه في العالم العربي، وتُدرَّس رواياتي في خمس جامعات أمريكية...). وأضاف: (أنا هو الحجر الذي رفضه البناؤون، وأصبح فيما بعد حجر الزاوية).

ورداً على سؤالي له عن عمله في السياسة ونظرته إلى الحرية وحلمه في التغيير أجابني: حنا مينه رجل نصفه عاقل ونصفه مجنون، غير أنه يحب نصفه المجنون أكثر. ومشكلتنا في العالم العربي أن حكامنا كلّهم عقلاء، ونحن نحتاج إلى شيء من الجنون. لقد ناضلت في سبيل الجلاء وعملت في السياسة (من المؤسسين الأوائل لمنظمة الحزب الشيوعي في اللاذقية) مع رفاق أعزاء (بدر مرجان)، وتعرضت للسجن والتعذيب.

في شبابي عملت حلاقاً، وحلمت بتغيير العالم، فكتبت مسرحية لا أعلم أين نصّها الآن، قلت فيها: إنني سأغير العالم في ستة أيام وأستريح في اليوم السابع.

وعن الحب الذي أتقنه صوماً، صلاةً وإيماناً: (عندما كنت في العشرين من عمري كنت مشغولاً بالرغيف عن الحب، أما الآن فأقول لكم: الحب مرض لذيذ فأحبوا قليلاً كي تكونوا أقوياء).

كان سلاح حنا مينه هو الفكر، وطلقاته كانت كلمات من ورد وماء البحر - تحية الى روح شيخ الرواية السورية، ستبقى ملكاً متوجاً على عرش كل الناس الذي يعشقون البحر ويحترمون الفكر.

لأنه حمار

» أيمن أبو الشعر

اضطرّ الأستاذ رشيد - وهو مدرس للأدب العربي - أن يتفق مع النجار النقاش آصف لإصلاح بعض التحف الخشبية والموبيليا التي تضررت أثناء نقل العفش إلى البيت الجديد، فقد كانت دكان المعلم برهان مغلقة منذ حين، ويقال إنه مرض وسافر للعلاج.

راح يتأمل النجار الشاب آصف وهو يقف بحالات استعراضية، وينظر إلى زخرفة الكنبات والكراسي المشغولة بمهنية عالية، ويمد يديه مباعداً بين إصبعي السبابة والإبهام في كلّ كفّ وملصقاً إياهما معاً لتبدو كموشور ينظر من خلاله إلى المكان الذي يجب إصلاحه، وكأنه مهندس علّامة وخبير مرموق، ويقفز من مكان إلى آخر ليوحي بأنه يحدّد السمت، وحين سأله الأستاذ رشيد عن المعلم برهان، الذي صنع غرفة الضيوف هذه، قبل سنوات، بدأ بالحديث عنه بشكل سيّئ، وتطور الحديث إلى انتقادات حادة وهجوم غير مبرر.

ظل الأستاذ رشيد وهو مدرس للأدب العربي في الجامعة يلوح برأسه يمنة ويسرة، ويصرّ على أسنانه منزعجاً وهو يردّد بينه وبين نفسه: (لا حول ولا قوة إلا بالله، عيب الطعن بأستاذك)، فيما كان النجار النقاش آصف يعالج جانباً من زخرفة الموبيليا ويتابع، أثناء عمله، هجومه الساحق على معلمه السابق برهان، وهو النجار الأشهر في الحيّ كله بقدرته المميزة في حفر الخشب، والمشهود له بزخارفه التي زيّن بها خلال نصف قرن العديد من بيوت المنطقة، وحتى مسجد الحي وكنيسته، وحين ارتفع صوت الأستاذ رشيد مدافعاً بكلمتين عن المعلم برهان، اشتد هجوم آصف وسخر قائلاً إن المعلم برهان حصل على شهرته نتيجة علاقاته الاجتماعية، وأنه لا يفهم فن النحت، وخاصة الحفر في الخشب مطلقاً، وأكد آصف أنه هو الفنان، وبرهان عجوز ومجرد نجار، حتى إنه يسمّيه أحيانا حطّاباً، وهو رغم إقراره بأنه تتلمذ على يديه، وتعلم في ورشته، لكنه يؤكد أن ذاك الزمن مضى، وأن برهان حطاب أو نجار في أحسن الأحوال، وبات من الماضي، أما هو - آصف - فهو ابن الحاضر ونجم المستقبل، وهو المميز الفنان.

تدخل الأستاذ رشيد أخيراً، وأوقف آصف عن العمل طالباً أن يسمعه وألا يقاطعه، وقال بحدة: ربما تنطبق عليك صفة فنان، وأنت تتقافز كممثل، تبتعد وتقترب راسماً بأصابعك مربعاً كأنما تحدد السمت المطلوب، فقد وصف الأعشى حمار الوحش بالفنان لكثرة تقافزه وخيلائه، وأردف: يقول المثل الشعبي إن الحمار الصغير - الجحش أول ما يتعلم الرفس يرفس أباه، وبمجرد أن يكبر قليلاً ويصل إلى سن البلوغ يقفز فوق أمه ليمارس الجنس.. ثم سأله بلهجة قاسية: أتعلم لماذا يفعل بأبيه وأمه ذلك؟

قال آصف وقد خفت صوته: لا، لا أعرف، لماذا؟

فأجابه الأستاذ رشيد بحسم: لأنه حمار، وخرج من الصالون تاركاً آصف مذهولاً! وراح يردّد: (أعلّمه الرماية كلّ يوم.. فلما اشتدّ ساعده رماني)!

العـــدد 1069 ـ الأربعـــاء 9 آب 2023

صباح الخير يا غسَّانّ

» عبد الرزاق دحنون

أيّها الغزال الذي كان يُبشّر بزلزال، ويترك في كل صباح صحف الاحتلال، بين قيل وقال. وعلى كلّ حال، لكل مقام مقال. هل تُصدّق أنني عشتُ معك كل حياتي، فقد انطبعت كلماتك في ذاكرة الطفل الذي كُنتُه، والعلم في الصغر، كما تعلم، مثل النقش في الحجر. اسمك لم يفارقني من يوم وعيتُ على الدنيا وأهلها. ومن ثمّ، وبعد حين من الدهر، اكتشفتُ متعة القراءة والكتابة، وها قد مرّت على تلك الأيام أكثر من خمسين سنة وأنا صديقك اليومي ما أزال.

نعم، أقول صباح الخير وأنا حزين يا غسَّان، لأنني نسيتُ في أي مرحلة دراسية كنا نقرأ مجموعة قصص من تأليفك اختارتها وزارة التربية والتعليم في سورية مطلع سبعينيات القرن العشرين، ليطالعها التلاميذ في حصص القراءة الرافدة في المدارس تحت عنوان (حقٌ لا يموت) أذكر منها حتى الساعة قصة (الصغير يستعير مرتينة خاله ويُشرّق إلى صفد) التي افتتحتَ بها مجموعتك القصصية (عن الرجال والبنادق)، وكنتَ قد كتبتَ مقدمتها في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨. كان عنوان القصة مألوفاً، حلواً، فيه تلك اللغة اليومية التي يتعامل بها كل البشر (يستعير مرتينة خاله ويُشرّق) إلى أين؟ إلى صفد. وما صفد هذه؟ لم ندرك معناها أول الأمر، فجاء شرح أستاذنا العزيز جبور عيسى جبور (أبو سليم) سليماً في المعنى: صفد مدينة فلسطينية عريقة، وهي إحدى مدن فلسطين التاريخية، تقع المدينة في منطقة الجليل الأعلى، كما تُعتبر واحدة من أكثر مدن فلسطين ارتفاعاً عن سطح البحر. تقع على بعد ١٣٤ كم شمال مدينة القدس وتُطل على بحيرة طبريا ومرج بيسان الواقعين إلى الجنوب الشرقي منها وعلى جبل الجرمق إلى الغرب.

تسأل لماذا أنا حزين؟ أنا حزين يا غسَّان وكأنه الحزن الذي قال فيه صاحبك ورفيق دربك الثائر الأرجنتيني أرنستو شي غيفارا: (كنتُ أتصور أن الحزن يكمن أن يكون صديقاً، لكنني لم أكن أتصور أن يكون وطناً نسكنه، ونتكلم لغته، ونحمل جنسيته). ثمّ جاء الشاعر الكردستاني شيركو بيكه سه ليكتب قصيدة بديعة يقيس بها حزني وحزنك. يقول فيها: جاء التاريخ وقاس قامته بقامة أحزانك، كانت أحزانك أطول، وعندما أراد البحر أن يقيس عمق جراحاته مع جراحاتك، صرخ، لأنه كاد أن يغرق فيك.

أنا حزين يا غسَّان لأنني فارقتُ مكتبتي في مدينة إدلب في الشمال الغربي من سورية وفيها أعداد مجلة (الهدف) التي أسّستها أنتُ وصدر العدد الأول منها في صيف عام ١٩٦٩، وصارت في سنوات قليلة من أفضل المجلات العربية وأوسعها انتشاراً. أنا حزين يا غسان لأن رحلة الرحيل عن ديارنا كانت شاقة وخطرة، تركنا تلك الديار معلّقة على حبل الغسيل، لأن حقائبنا الصغيرة المعلقة على ظهورنا لا تتسع وطناً، فالأوطان أكبر من أن تُحمل في حقائب على ظهور البشر.

أنا حزين يا غسَّان لأنني رُميتُ بالغربة عن وطني كأنني أذنبتُ في حالة القرب فأدَّبني بهجره وبعده. أستغفر الله هو مسقط رأسي، ومجمع أهلي وناسي، وملعب إخواني وخلاني. والشاعر يقول:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادةٌ
ولكن تفيض العين عند امتلائها

وعلمي أن محاسن الأوطان كثيرة لا تُستقصى، وأوصاف صفاتها تتضاعف أعدادها ولا تُحصى.

وها أنا ذا من بعيد أُطلُّ عليك يا وطني. وأحنّ إليك. أي والله. وكيف أُخفي ذلك، وقد سبقنا الأوائل في القول: حبُّ الأوطان من الإيمان. وأقول مع الشاعر:

وما عن رضى كانت سُليمى بديلةً
بليلى، ولكن للضرورات أحكامُ

وأبو الطيب يُنشد:

لا خَيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ
فليُسعد النطقُ إن لم يُسعد الحالُ

وكُلنا يعلم أن آراء الناس تختلف من زمن لآخر، وهذا من حقهم، ولكنهم يحتاجون إلى التعاون من أجل نهضة

الأوطـــان، وأســـاس الـتـعـاون والعيش المشترك هو التفاهم الـــذي يـزيـل الـخـلاف بين الأطراف ذات العلاقة في عالم متنوع. وأنت علَّمتنا يا غسَّان أن الوطنية هي هـذا الشعور العميق الـذي يـحـدو صاحبه إلى مؤاخاة جميع الناس لأنهم يشاركونه في مُثُل عليا يُقدّسها وهي تستلزم حقوقاً وواجبات.

فـي رحـلـة الـرحـيـل كانت الـدروب تضيق بـيـن صفوف عسكر الحدود المتنكب بنادق رشاشة ومن يغلط في المسير يُرديه رصـاص القناص قتيلاً بين أشجار غابات الصنوبر. كلّا يا غسَّـان، لا تحتمل تلك الحقائب الخفيفة وطناً وديارا ومـجـلـدات الـكـتـب الـثـقـيـلـة، والـذكـريـات الـحـزيـنـة، لذلك مـن يستطع حـمـل مـا يرغب من كتب ومجلات من مكتبته، هذا الترف لا تحتمله ساحات الحروب ودروبها الضيقة. كم كنتُ حزيناً يـا غـسّـان لأنني لـم أستطع حمل (مـلـفّ) عن مسيرتك في الصحافة جمعه صـديـقـي الـبـاحـث والـمـؤرخ الأسـتـاذ فايز قـوصـرة، الـذي تـعـرَّف إلـيـكَ شـخـصـيـاً في بيروت وتعلَّم منكَ الكثير وعمل معكَ في مجلة (الحرية) وفي جريدة (المحرّر) في ستينيات القرن العشرين. في (الملفّ) الذي لم أستطع حمله وتركته في مدينة إدلب قصاصة من جـريـدة (الـمـحـرر) أظنها في عام ١٩٦٣ وفيها مادة لك مع صـورتـك بـالأسـود والأبـيـض تنضح شـبـابـاً ونـضـارة. وقد كنت تكتب مقالاً أسبوعياً في جريدة (المحرر) التي كانت ما تزال تصدر أسبوعية صباح كل اثنين في بيروت.

كم كنتُ أرغب في حمل المجلد الثاني من مجلدات أعـمـالـك الـكـامـلـة وفـيـه (مجموعات) قصصك، ولهذا المجلد قصة شيقة وطريفة حدثت معي ولكن لا يتسع المقال لذكرها الآن، سأكتب عنها فيما بعد. وبعد، كم كنتُ أرغب في حمل أعداد مجلة (الهدف) الخاصة التي كانت تصدر في الثامن من تموز يوم استشهادك من كل عام، وكنتُ أجمعها وأحرص أن تبقى كما أشتريها وقت صدورها، كنتُ أُبقيها نظيفة، مرتبة، طازجة، تفوح رائحة الحبر من أوراقـهـا، وأخجل حين تنثني صفحة بالغلط مـن صـفـحـاتـهـا الـتـي يُطل اسمك ورسمك في كل زاوية مـن زوايـا الـعـدد الـسـنـوي التي كان رفاقك في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يعتنون بإخراجه فنياً وفكرياً في ذكرى رحيلك مع لميس ابنة أختك فائزة، في تفجير سيارتك المفجع في صباح يوم السبت الثامن من تموز عام ١٩٧٢ في حي الحازمية في العاصمة اللبنانية بيروت.

أنـا حـزيـن يـا غـسَّـان لأن رفيق دربك بسَّام أبو شريف (الـذي كـان يـومـذاك عضواً فـي المكتب الـسـيـاسـي في الـجـبـهـة الـشـعـبـيـة لتحرير فـلـسـطـيـن، ورئـيـس تحرير مـجـلـة الـهـدف) هـا هـو ذا يلملم أغراضه يوم الرحيل في صيف عـام ١٩٨٢، ماذا يأخذ ومـاذا يترك في رحلة الرحيل عن بيروت؟ يستعجله الرفاق: يا رفيق بسَّام علينا أن نُغادر. يحزم أمره أخيراً فيحمل الـمـجـلـد الأول من أعـداد مجلة (الهدف) أغلى مـا يـمـلـك، يضعه فـي كيس البحار العسكري وينطلق مع الرفاق إلى السفينة المغادرة. كانت مجلة الهدف في حصار بيروت قد تحولت إلى جريدة يومية باسم الـهـدف أيضاً، وراحـت تُـوزّع على الفدائيين في الخنادق ومتاريس أكياس الرمل. كانت تسهم إلى حدّ مـا فـي صمود الفدائي فهوَ إنسان في النهاية له ما لنا وعليه أكثر مما علينا. له عـواطـف جـيـاشـة، ومشاعر فيها الـفـرح والـحـزن، يُحب كما نحب، ويعشق كما نعشق، ويحلم كما نحلم. يستمتع بـالـشـاي والـسـجـائـر وقـهـوة الصباح المفقودة..

صباح الخير يا غسَّان!

عيد الجيش السوري

» صفاء طعمة

بعد نجاحه في الشهادة الثانوية، قرّر أخي الأكبر أن يتطوع في القوى الجوية التابعة للجيش السوري، وتدرب على مدى عـدة سنوات وأصبح طيـاراً مقاتلاً خدم بعد في عدة مطارات حربية وعلى الجبهة المباشرة لأكثر من ثمانية عشر عاماً.

أذكر أنني في مطلع التسعينيات رافقت عائلتي إلى حفل تخرجه في الكلية الجوية في مطار كويرس بالقرب من حلب.

لا تـزال فـي ذاكـرتـي صـور الـعـرض العسكري وأصـوات الشبّـان الحماسية الذين أقسموا بقلوبهم وأصواتهم الفتية على الـولاء والـشـرف والإخـلاص للوطن الحبيب.

حفرت كلمات القسم تلك عميقاً في ذهـن تلك الطفلة التـي كنتها، وتـأثـرت بوقعها معنىً وإيقـاعـاً، كما أذكـر أنني بقيت أرددها في سري بعد ذلك كما أردد الصلاة اليومية لوقت طويل، لأنني اعتبرت نفسي معنية بها رغم صغر سني حينذاك، وأضفت أمنية الالتحاق بالجيش في الكلية الحربية للبنات، لأنها كانت الخيار المتاح، إلى قائمة أحلامي وأمنياتي الطويلة.

أما الآن، وبعد أن مضت سنوات العمر الطويلة الـتـي رسـمـت خـطـوط مسيرتي المهنية، من ضمنها طبعاً سنوات الحرب القاتمة، ودون ذكـر التغيير الـذي طال المفاهيم والأمـانـي والأحـلام، ومـا لحق بالشرف العسكري جوراً من شوائب طالت أفراده بسبب الظروف الحرب والقتال؛ إلا أن تلك الأمنية الدفينة لا تزال تقفز الى ذهني كلما قرأت عبارة: (كل مواطن خفير) التي عنون بها الأديب الكبير سعيد تقي الدين إحدى مقالاته، في إشارة إلى الدور الأساسي الذي يلعبه كل مواطن في بناء الوطن وحمايته واضعاً نصب عينيه الولاء له أولاً واخيراً.

ولأنني أعـرف أن الحديث عن الـولاء للوطن وتوصيفه مـوضـوع ثـابـت لا لبس فيه، ولا يمكن العبث به أو تغيير مفرداته ومصطلحاته، والذي يتجلى في أبهى صوره فـي المؤسسة العسكرية؛ ولأنـنـي أعتبر نفسي مواطنة أولاً وأمّاً وابنة ومقاتلة على طريقتي، مثل بقية عامة الشعب المقاوم على كل الجبهات المحيطة في الداخل والخارج..

أقف إلى جانب المقاتلين والعسكريين، في كل المواقع، في كل نقطة من نقاط بـلادي الجريحة، ممن حملوا الـولاء في قلوبهم رغـم التعب والـجـراح والـخـراب، ولم يتأثروا رغم إجحاف حقوقهم أغلب الأحيان، ووقـوف من انتهت خدمته منهم أمام مستقبل مجهول مرهق..

أردّد عالياً بصوتي قسَمَهم الحبيب الذي أريـد أن أعلّمه لأولادي وتتعلمه الاجيال القادمة لتحديد الولاء أولاً وأخيراً للوطن الحبيب سورية، لعلّهم يعيدون لها ولنا ما نتمنى من قيم وكرامة تربّينا ونربّيهم على نهجها قدر ما نستطيع.

حول إيديولوجية الإسلام السياسي المتطرف التكفيري

» يونس صالح

ما أودّ أن أسلّط الضوء عليه في هذه المقالة أمران أراهما مهمّين فيما يتعلق بإيديولوجيات الإسلام التكفيري- الحربي المعاصرة: طرائق توظيف النصوص الفقهية والعقائدية القديمة لدى منظمات الإسلام السياسي، والطبيعة الإيديولوجية الغالبة لبيانات ذلك الإسلام، ومآل وآثار تلك الإيديولوجيات على الداخل الاجتماعي، وعلى الإسلام التقليدي في الوقت نفسه.

أما بالنسبة للأمر الأول: طرائق التوظيف، فالملاحظ أن الإسلاميين الحزبيين الإلغائيين يستخدمون النصوص القرآنية في الأعم الأغلب، وتلك التي تتصل بمسائل الكفر والإيمان بالذات، وهي غالباً آيات وردت في سياق الصراع بين المسلمين في المدينة وقريش المعادية بمكة.. وهم لا يستخدمونها كما وردت لصراع الإسلام مع الخارج المعادي، بل لمصارعة الجاهلية الكافرة في عقر دار الإسلام، حتى إذا اضطروا للتعيين والتحديد لجؤوا لفتاوى ابن تيمية وتلامذته مثل ابن كثير، أو لتلامذة فكره مثل محمد بن عبد الوهاب.. وإذا وصلنا إلى المسألة الثانية، مسألة طبيعة الفكر، نجد أن لديهم جميعاً بيانات يغيب عنها السياسي، ويسيطر العقائدي والإيديولوجي، فهم لا يسلكون مسلك المعارض السياسي الذي يريد أن يصل إلى السلطة من أجل الإصلاح أو ما يعتبره كذلك، بل يسلكون مسلك المخلّص والمنقذ لا للجميع بل للدين، دين الله الذي حُرّف ووقعت على عواتقهم مهمة إقامته وتسييده من جديد.

لذا يبدو أحياناً كأنما همّهم أن يقتلوا لا أن ينتصروا، أو كأنما لا خلاص لهم من الجاهلية، إلا أن يمضوا عمداً إلى الموت، تكفيراً أو توبة من الرجس السائد، ما دام اجتثاث ذلك الرجس من جذوره أمراً بعيد المنال.

إن الحركات الإسلامية المعاصرة تلك تشبه تلك الحركات التي عرفتها سابقاً الديانتان الأخريان المسيحية واليهودية، وقد عرفها تاريخنا كله، وما كانت لها آثار سياسية في الأعمّ والأغلب، وكان لها طابع إحيائي، ينشأ إحساس لدى فرد أو فئة من الفقهاء أو ذوي الحساسية الخاص في فترة ما أن (التوحيد) أو مفهوم (العبودية) يتعرض صفاؤه للشوائب والتهديد الداخلي أو الخارجي، فتقوم حركة إحيائية ذات طابع شعائري للتنقية أو العودة أو التوبة أو بلغة بعض الإسلاميين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتختلف مساربها وطرائقها ووجوه اهتمامها باختلاف الوضع الثقافي السائد.. ولا شك أن هذه الحركات تملك أو تتعمد أن تملك تأثيراً سياسياً لكن ليس لأهداف سياسية، بل لكي تنفذ برنامجها الديني. أما التسييس الشديد اليوم في الحركات الإسلامية المعاصرة فناجم عن الظرف الاستثنائي الذي يمر به المجتمع والدولة في البلدان العربية.. فبسبب الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمآزق ذات الأبعاد الرمزية الكبيرة، صارت الحركات الإسلامية حركات واسعة الانتشار، فاصطدمت بالسلطات السياسية، وكلما تفاقم الصراع ازداد تسييساً، وإن ظلت لغتها وظلت أهدافها دينية اعتقادية وشعائرية ورمزية.

يقول سيد قطب في كتابه الشهير (معالم في الطريق): (إن المجتمعات القائمة كلها مجتمعات جاهلية وغير إسلامية، وإنه لينبغي التصريح بلا وجل أن الإسلام لا علاقة له بما يجري في الأرض كلها اليوم لأن الحاكمية ليست له.. والبديل الوحيد لهذه الأوضاع الزائفة هو أولاً وقبل كل شيء قيام مجتمع إسلامي يتخذ الإسلام شريعة له.. ولا تكون له شريعة سواه).

إن الحركات الإسلامية المعاصرة تلك تشبه تلك الحركات التي عرفتها سابقاً الديانتان الأخريان المسيحية واليهودية، وقد عرفها تاريخنا كله

التسييس الشديد اليوم في الحركات الإسلامية المعاصرة ناجم عن الظرف الاستثنائي الذي يمر به المجتمع والدولة في البلدان العربية

إن الفضاء الخاص بأفكار الخصوصية في مشرقنا هو من صناعة الإخوان المسلمين والمفكرين الغربيين بالدرجة الأولى

ويقول في موضع آخر: (لابد من درجة من القوة لمواجهة المجتمع الجاهلي.. قوة الاعتقاد والتصور، وقوة الخلق والبناء النفسي، وقوة التنظيم والبناء الجماعي، وسائر أنواع القوة التي يواجه بها المجتمع الجاهلي). إن من بين سطور ذلك الكتيب خرجت كل جماعات الإسلام الإلغائي في المجال العربي على الاقل.. يتضمن نص سيد قطب ذاك الفكرتين النظريتين الرئيسيتين السائدتين اللتين تنطلق منهما وتستند إليهما الجماعات الإسلامية المتطرفة، فكرة الجاهلية وفكرة الحاكمية.. ولقد تعززت هاتان الفكرتان عند قطب، بعد دخوله السجن أيام عبد الناصر في كتابه الشهير (في ظلال القرآن)- ويغلب الظن أن فكرتي (الحاكمية) و(الجاهلية) قد تعززنا عنده نتيجة تجربته في الغربة الأمريكية من جهة، ومعاناته في السجن من جهة ثانية.

على أن الأمر ما كان يحتاج إلى جهد كبير لفهم أصول أفكار سيد قطب في البيئة العربية، فالخيبة من الغرب المستعمر أو فكره وحضارته كانت قد أصبحت نغمة سائدة في الأوساط العربية في الأربعينيات من القرن الماضي.. وتحت تأثير هذه الأجواء، بدأ المفكرون العرب يتخلّون عن الليبرالية التي سادت الأجواء في مطلع القرن، ويعودون لأفكار الخصوصية والأصالة.. فبدؤوا أولاً بإبراز محاسن الإسلام، وندّيّته، عن طريق المقارنة بين التشريعات ووجوه النظم وتصور الكون والإنسان، ودفعتهم الاستعمارية الفرنسية والبريطانية والإيطالية والإسبانية إلى اليأس من الغرب في السياسة وأنظمة الحكم أيضاً، حتى إذا ضاعت فلسطين تحت وطأة مساعدة الغرب لليهود، ثبت لدى الجميع الفكرة القائلة بمؤامرة غربية بعيدة الغور على العرب والإسلام.. لكن عندما لم يستطع الإخوان المسلمون في البلدان العربية أن يلعبوا ذلك الدور الهام في الحياة السياسية العلنية، لجؤوا إلى التنظيمات السرية (في مصر بالدرجة الأولى)، والاغتيالات من أجل تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه بالدعوة.

إن الفضاء الخاص بأفكار الخصوصية في مشرقنا هو من صناعة الإخوان المسلمين والمفكرين الغربيين بالدرجة الأولى.

يمكن القول أخيراً إن الفضاء الثقافي، والثقافي السياسي يؤثر تأثيراً بالغاً في مستوى تطور الأفكار..

لنتذكر النقاش الذي دار بين الشيخ محمد عبده وفرح أنطون حول الدين والعلم، وكيف اختلف عبده معه في أطروحاته، لكن النقاش لم تسقط فيه كلمة يشتمّ منها رائحة التكفير، أو التآمر على الإسلام، بينما يقول سيد قطب لاحقاً، واصفاً الدعوة القومية والدعوة العلمانية بأنها دعوة العرق والتراب في مواجهة النفحات السماوية، وإن الديمقراطية والاشتراكية، على حدّ سواء، هما تأليه لغير الله.

الحداثة وما بعد الحداثة (قراءة نقدية)

» د. عدنان عويّد

ظهرت فكرة الحداثة كمفهوم واسع الدلالات وكمشروع ضخم ارتبط بانطلاق الثورة الصناعيّة في أوربا، وظهور الطبقة البرجوازيّة كطبقة تقدميّة تعي ذاتها من خلال التعبير عن مصالحها ومصالح الطبقة العماليّة المرتبطة بها، هذه الطبقة التي ظهر معها الكثير من المفكرين الذين راحوا يعبرون عن مصالحها وطموحاتها بفكر عقلاني تنويري مشبع بتفاؤلها ونزعتها المركزيّة العقلانيّة. ولكن شيئاً فشيئاً راح يغلب على هذه العقلانيّة روح (العقلانيّة الأداتيّة)، أي ذلك النمط من التفكير الذي إذا ما تعرّف على مشكلة ما، سعى لحلّها مباشرة دون التساؤل عن أهداف هذه الحلول وغاياتها وما إن كانت إنسانيّة أو معادية للإنسان. وقد فرضت هذه العقلانيّة الأداتيّة آنذاك أسلوب آليات التبادل المجردة في المجتمع الرأسمالي حتى في القيم، بعد وصول الطبقة البرجوازيّة إلى السلطة. فتبادل السلع في عالم هذه الطبقة، بعد أن تحولت إلى طبقة إمبرياليّة احتكاريّة، يعني تساوي الأشياء المُتبادَلة كسلع، فما يهمّ في السلعة، إن كانت جهد العامل المنتج، أم المادة المنتجة للتسويق، ليس قيمتها الإبداعيّة وما تتضمنه من قيم إنسانيّة معدّة لتأمين حاجات الناس الاستعماليّة المتعيّنة، وإنما ثمنها المجرّد وما تحقّقه من ربح لمالكها.

وإذا كانت أفكار التنوير قد جاءت مع ظهور الطبقة البرجوازيّة كطبقة تقدميّة لتعمل على محاربة الظلم والاستعباد، وقيم النبالة والعقليّة الكنسيّة الغيبيّة وما تمارسه من تخدير وتغييب لوعي الشعب عن مآسيه، الأمر الذي جعل أفكار التنوير تشكل أنموذجاً حياً لطموحات هذه الطبقة، وتعبيراً هادئاً عن مشروع الحداثة بكل ما يحمله هذا المشروع من مفردات تعبر عن الحريّة والعدالة والمساواة، وعن المواطنة والحقوق الطبيعيّة والقانونيّة ودولة المؤسسات وحرية الرأي واحترام الآخر فكراً وعقيدة، إلا أن أفكار التنوير بعد وصول الطبقة البرجوازيّة إلى السلطة وتحوّلها إلى طبقة برجوازيّة إمبرياليّة استعماريّة، راحت تقمع شعوبها وشعوب العالم، ومع هذا القمع أخذت أفكار التنوير ذاتها تتحول من أفكار تحريضيّة للثورة ضد الظلم والاستغلال، إلى أفكار يغلب عليها الطابع (التبشيري) بسبب إفراغ الطبقة البرجوازيّة لهذه الأفكار من محتواها وتحويلها برمّتها إلى شعارات برّاقة يتغنّى بها الإعلام الغربي ومؤسساته الدستوريّة ودساتيره، بينما الواقع يقول غير ذلك. فالمواطن الذي غنّت له شعارات الحداثة مع فكر فلاسفة عصر التنوير، وبيانات حقوق الإنسان ومضامين دساتير هذه الدول عن الحرية والعدالة والمساواة ودولة القانون والمواطنة وغير ذلك، راح هذا المواطن الذي بدأ يُستلب ويُشيّأ ويُغرَّب، بفعل آلية عمل السوق القائمة على الربح، يعيش اضطهاداً وتهميشاً تحجبه غشاوة السعادة التي خرجت من معطف الحريّة الفرديّة والاجتماعيّة وصناعة التسلية والترفيه وثقافة الاستهلاك والإعلام المنمذج والتركيز على غرائز الإنسان أكثر من عقله، الأمر الذي جعل اغتراب الإنسان واستلابه وتشييئه في النظام الرأسمالي، يحوّل الكثير مما هو إنساني، ويعبّر عن القيم النبيلة للإنسان، إلى قيم وسلوكيات حيوانيّة في العالم الرأسمالي.

إن انتصار العقل الأداتي وسلطته السياسيّة والاقتصاديّة للطبقة البرجوازيّة على أفكار التنوير العقلانيّة النقديّة، أسفر عن جملة من المغالطات والتعسفات كانت أساساً لولوج الحداثة مرحلة الأزمة. وبالتالي بدء ظهور فكر وعالم ما بعد الحداثة الذي يعبّر خير تعبير عن عالم الطبقة الرأسماليّة الاحتكاريّة وعالم القطب الواحد، أو النظام العالمي الجديد.

مع تحول الطبقة البرجوازيّة إلى طبقة إمبرياليّة احتكاريّة تمارس الظلم على شعوبها وشعوب العالم، تبدأ مسيرة الحداثة بالتراجع، وتبدأ معها قيمها النبيلة بالتراجع أيضاً لتحلّ بدلاً عنها قيم التذرير والتفكيك والنهايات، أي موت القيم في الفن والأدب والفلسفة والأيديولوجيا وكل ما يمت لحياة الإنسان من قيم نبيلة.

إذاً، مثلما للحداثة قيمها، فلما بعد الحداثة قيمها أيضاً، ثم إن عبارة (ما بعد الحداثة) تفيد التجاوز والبعدية وتشير إلى تتابع زمني يأتي فيه واقع جديد ووضع جديد خلفاً لآخر أصبح مستنفداً ومتجاوزاً ومدمراً كما يقرّ فلاسفة ومفكرو عالم ما بعد الحداثة.

إن النقد الحاد الذي مورس على قيم الحداثة من قبل مفكري وفلاسفة ما بعد الحداثة، المعبّرين عن طموحات الطبقة الرأسماليّة الاحتكاريّة، يقدم نقطة انطلاق هامة للحظة ما بعد الحداثة للمضي أشواطا بعيدة في تجذير هذا النقد وتعميقه، إذ لا يجري نقد الحداثة فقط بل نفيها وتدميرها. وهذا ما يدفع البعض للقول: إن لحظة ما بعد الحداثة تمثل نوعاً من الانفجار الذي سوف يؤدي بالحداثة وبعقلانيتها وموضوعاتها إلى التشتت والتفكيك والتذرير، ولهذا يظهر مفهوم ما بعد الحداثة كنبش في الأسس وكسر للقوالب وخروج على النماذج، وتفجيراً للأشكال وخروجاً عن خط الصيرورة التاريخية للحداثة، وتدميراً لأنساقها القيميّة النبيلة على نحو خارق ومدهش.

من هنا ينضبط عالم ما بعد الحداثة داخل (خرائط مفاهيميّة) تقوم أساساً على النفي والتدمير والتجاوز والافتتان بـ(أخلاقيات الموت) والتحرر ودراميّة النهاية. فعلى هذه الخرائط نفسها تماماً يشتغل فلاسفة ومفكرو عالم ما بعد الحداثة، فهم يقومون بحصر ظاهرة ما بعد الحداثة على المستوى الفكري في عدد محدد من المبادئ والأسس وهي: موت الفن، وموت النزعة الإنسانيّة والعدميّة، ونهاية التاريخ. وعلى هذا الأساس جاء طرح ميشيل فوكو وجاك دريدا، عدّة مصطلحات تتجلى فيها أوجه التوصيف لعالم ما بعد الحداثي بوضوح مثل: التفكيك، والاختلاف، والتشتيت، واللااستمراريّة، والنهايات، وبالتالي الموت.

وأخيراً نقول: لقد ساير مصطلح (ما بعد الحداثة) عند ظهوره وانتشاره - العديد من المفاهيم والمعايير الرؤيويّة الغربيّة ومنها مفاهيم (الما بعديّة)، مثل ما بعد الصناعة، ما بعد العلم، ما بعد الفلسفة... الخ.

كاتب وباحث من سورية
d.owaid333d@gmail.com

العـــدد 1069 ـ الأربعـــاء 9 آب 2023

الشباب..
طاقات مبدعة اغتالتها الحرب وأهدرها الفساد

» إيمان أحمد ونوس

يُعدّ جيل الشباب من أهم مكوّنات المجتمع والدولة على السواء، ذلك أنهم يمثلون القوة والحيوية التي تتطلّبها مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وسواها من مجالات لا يمكن لغير الشباب الاضطلاع بها، بحكم مرونة الفكر والتفكير التي يتميّزون بها والرغبة القوية للبحث والتقصّي باتجاه المعرفة، إضافة إلى سرعة التعلّم والاستيعاب وبالتالي اكتساب المهارات المطلوبة.

لـذا، يـؤكـد خـبـراء الـعـلـوم الاجتماعية والنفسية أهمية بناء الشخصية الوطنية التي تؤمن بقيم التوازن والتناغم والعطاء، وضـرورة الأخـذ بيد الطاقات الشبابية الواعدة، وتوفير الرعاية التي تدعم الجهد الخلاّق والعطاء المُتجدّد لديهم.

فـحـيـن تُـجـيـد الـحـكـومـات اسـتـغـلال تـلـك الـخـصـائـص الشبابية، فإنها تسعى بالتأكيد لخلق البيئة والمناخ الملائمين لكل ما يحتاجه الشباب خلال بـنـاء الـشـخـصـيـة واكـتـسـابـهـا المهارات المطلوبة والمرغوبة من قبل الشباب أنفسهم، وبناءً عليه ترسم تلك الحكومات خططها واستراتيجياتها البعيدة والقريبة المدى، من أجل إنجاز مهامها الملقاة على عاتقها كافة استناداً إلى الشباب الساعي للعمل والعطاء وإثبات الذات، سواء من خلال إفساح المجال أمامهم في البحث العلمي الجادّ، أو بتقديم كل التسهيلات المطلوبة ليكونوا حاضرين وبقوة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية منها بخاصة، إذ من المفترض أن يكون الشباب مساهمين في وضع الخطط والاستراتيجيات المتعلّقة بهم أولاً وبالمجتمع ثانياً. حينئذ سنجد أن الشباب يندفعون بكَل طاقاتهم الفكرية والعضلية والمعرفية للإبداع والعطاء، ما ينعكس عليهم وعلى المجتمع تطوراً ورخاءً وازدهار.

الفساد الذي استشرى عمّم كثيراً من قيم التفاهة والزيف واستسهال الكسب غير المشروع من خلال أعمال لا يمكنها أن تخرج من تصنيف النصب والاحتيال

لـكـن، ولأنـنـا مـا زلـنـا نعيش تبعات حرب استمرت عقداً من الـزمـن بكل ما فيها مـن أنّـات وآهات رافقت كل ويلاتها وطالت الجميع بلا استثناء، لكن حصّة الشباب كانت الأكبر فيها لأن بعضهم استُشهد والبعض الآخر اختُطِفَ أو اختفى لأسباب ما زالـتَ مجهولة حتى اللحظة، والبعض منهم ركب موجة السفر والهجرة خلاصاً من واقع لم يعد محتملاً بالنسبة لهم..والباقي من شبابنا اليوم يئنُّ صباحاً ومساء تحت وقع البطالة والغلاء وارتفاع أجور السكن والدراسة وغيرها من مستلزماتهم الضرورية لبناء مستقبلهم الذي رسموه بأفكارهم وخطّطوا له، فبات حلماً صعب

المنال أمام كل ما ذكرناه.. حتى أمسى غالبية أولئك الشباب تائهين ما بين واقع مرير وقيم تبنّوها لم تعد تتوافق وهذا الواقع الذي فرض عليهم قيماً جديدة لا تتناسب وما يحملون أو يحلمون، أو يؤمنون، ذلك أن الفساد الذي استشرى عمّم كثيراً من قيم التفاهة والزيف واستسهال الكسب غير المشروع من خلال أعمال لا يمكنها أن تخرج من تصنيف النصب والاحتيال، أو من خلال مهن لا إنسانية كالتسوّل والدعارة التي باتتْ هي الأخرى حاضرة وبقوّة وكأنها أمرٌ طبيعي غير مُستهجن أو مُشين أو مرفوض، أو بالأحرى لا يُمكن أن يكون مرفوضاً لاستحالة أو ندرة الفرص الأكثر إنسانية بالنسبة للجنسين معاً، فقد بات الذكور من الشباب يلجؤون لتسهيل تلك المهنة للكثير من الإناث اللواتي لم تجد غالبيتهن العمل المناسب للبقاء على قيد إنسانية وحياة باتت بالنسبة لهنّ تحصيل حاصل من جهة، ومهنة تؤمّن لهن بعض احتياجاتهن التي يتطلّبها عمرهن التوّاق لكل وافد من موضة وأزياء ومقتنيات تكنولوجية باتت ضرورية بنظرهن. أما بنظر الشباب الذكور فهي تدرُّ عليهم دخلاً مقبولاً مثلما هي مجالٌ رحب وحرّ لتلبية احتياجاتهم النفسية والعاطفية والجنسية بسبب عدم قدرتهم المادية للإقدام على الزواج، في ظلّ الغلاء الذي طال كل احتياجات المؤسسة الزوجية وإنجاب الأطفال.

ورغم هذا الواقع، هناك شباب من الجنسين يرفضون بشكل قطعي العمل بمثل تلك المهن حتى لو نهشهم الفقر والجوع، باقون على قيد انتظار فرص أكثر إنسانية تُحقّق لهم طموحاتهم مع أنهم يشعرون بتلاشيها شيئاً فشيئاً أمام حصار البطالة أو المحسوبيات والفساد الذي قيّد العمل في كل القطّاعات- الخاصة أو الحكومية- بشروط مُحدّدة تتناسب مع مريدين مُحدّدين يأتمرون بأمره ويلبون سطوته الفارهة والفارغة والخالية من أيّة قوة حقيقة تؤهله للإمساك بزمام أمور البلاد والعباد. وهنا نُدرك حقيقةً عمق معاناة شبابنا الذين رفضوا السفر أو لم تساعدهم الظروف المادية عليه، معاناة دفعت بكثير منهم إلى متاهات أشدّ ضراوة من الدعارة أو النصب والاحتيال، لعلّها متاهات المخدّرات، فقد بات أولئك الشباب وقود تجارتها التي فاقت بحضورها المُستتر حيناً والمُعلن أحياناً أيّة تجارة أخرى بالنسبة لأثرياء الحرب الطفيليين، أو لأولئك التجّار الذين وجدوا في كل هذا الواقع فرصة لا تفوّت لزيادة مشاريعهم واستثماراتهم الوهمية حيناً والواقعية أحياناً نادرة، لرفع نسب أرصدتهم التي ما تكدّست إلاّ على حساب أحلام وطموحات شبابنا التي اغتالتها تلك الحرب العبثية وأهدرها الفساد الذي استشرى وتطاول حتى طغى على كل مفاصل الحياة، وفاقمتها قرارات الحكومات التي لم تُصغِ يوماً لا لأحلام وتطلّعات الشباب وحقّهم المشروع في المشاركة بالسياسة العامّة للبلاد، مثلما لم تُصغِ لأنينهم المكبوت الذي ارتحل بهم إلى عوالم مؤذية وقاتلة لتلك الطاقات المهدورة التي لو وُظِّفَت واستُثمرت بالشكل الأمثل لتمكنّا ولو بالحدود الدنيا من إعادة إعمار ما دمّرته الحرب مادياً ونفسياً وقيمياً، فهل تعي حكوماتنا أهمية وجود الشباب ودورهم، وطاقاتهم الخلّاقة في مختلف المجالات، بدل أن تكون طاردة لها، فتُعيد لهم بعضاً من حقوقهم المهدورة على أعتاب البطالة والفساد وإهمالهم المتعمّد في كثير من الأحيان، ليكون لشعار إعادة الإعمار ألقه الحقيقي والفعّال!؟؟

من المفترض أن يكون الشباب مساهمين في وضع الخطط والاستراتيجيات المتعلّقة بهم أولاً وبالمجتمع ثانياً

العـــــدد 1069 ـ الأربعـــــاء 9 آب 2023

اليوم العالمي للشباب.. وأهمّ تحديات الشباب السوري

» د. عبادة دعدوش

نحن نعلم أنّ خير نهوض لأمة يكون بسواعد شبابها وهمّتهم. ولكن هل هناك ما يمنع انطلاق الشباب واتخاذهم للخطوة الأولى؟

للشباب في العالم مكانة بالغة الأهمية، لأنهم العنصر الأساسي لبناء مستقبل مجتمعاتهم، وهذا ما يدفع المسؤولين إلى خلق مساحة للحوار معهم في كل ما يتعلق بتطورهم ودراسة أهدافهم وإغناء عقولهم بما يحفزهم على الإبداع واكتشاف المزيد من آفاق التفكير.

في سورية بشكل خاص قد يصعّب متابعة حال الشباب في ظلِّ حرب استهدفت سورية لسنوات مُخلّفة نتائج مدمّرة قضت على مستقبل الشباب وجعلتهم عن أهدافهم وأحلامهم بعيدون، وحدّدت عقولهم بمسؤوليات تفوق مقدرتهم لتأمين قوت العيش، وتحجيم تفكيرهم بما يجعلهم كثيري الملل من المتابعة وقليلي الاهتمام ببناء مهاراتهم رغم الصعوبات.

الشباب العربي اليوم طاقته قوية، وأسوأ ما يُحطّم المجتمع الذي يعيشون فيه هو توجيه تلك الطاقة نحو الأمور التي تزيد تشتيتهم وتجعل سلوكهم غير سليم، الأمر الذي يزيد الفجوة بينهم وبين الأهل والمجتمع بأكمله، فيصبحون في أسوأ حالاتهم وبأولى مراحل التدمير النفسي.

في الواقع السوري المرير الذي نعيشه من تردي الوضع الاقتصادي والغلاء الفاحش وكثرة حالات العنف والغضب، إذ يُحرم الشباب من أبسط حقوقهم، لإكمال مخططاتهم وتحقيق أهدافهم التي كانوا قد عزموا عليها لسبب بسيط وهو انعدام الأمان النفسي والمادي، ممّا يدفعهم لاتخاذ قرارات شبه طائشة إما بالهجرة وإما باختيار طرق مشبوهة للانحراف، وفي الحقيقة حالتهم تلك لا يُلامون عليها لأنهم كبروا في ظروف قاسية ومؤلمة، فهناك العديد من الشباب منذ أن بدأت الحرب في سورية وهم يعيشون بلا هدف يُذكر، منهم من اضطر لترك دراسته لعدم قدرته على تسديد رسوم الجامعة، ومنهم من ترك أهله وهاجر لتأمين نفسه ومساعدة أهله بما يكفيهم للعيش ببعض كرامة، وهناك من ترك حلمه ليأكله الظلام.

اليوم العالمي للشباب الذي يصادف ١٢ آب (أغسطس) مناسبة اجتماعية أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، للتركيز على دور مهارات الشباب في المجتمع الدولي والعربي

لم تعد للشباب أهداف سوى هدف العيش للغد، ولو حاول أحدهم النهوض بمهارة يحبها وقفت في طريقه أعباء ومصاريف لم تكن بالحسبان.

قوة الشباب في ظل ما نعيشه باتت بقدرتهم على الصمود والمحاولة مراراً وتكراراً بعد السقوط والعمل على خلق ما يشبههم ويطور من مواهبهم وإمكاناتهم بعيداً عن ضجيج ما يحدث، وعلى المؤسسات رعاية الشباب والنهوض بعقولهم من جديد لينيروا عتمة دامت لأكثر من عقد.

ما هو اليوم العالمي للشباب؟

يعتبر اليوم العالمي للشباب الذي يصادف ١٢ آب (أغسطس) مناسبة اجتماعية أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، للتركيز على دور مهارات الشباب في المجتمع الدولي والعربي. وقد أقرّت الأمم المتحدة هذا اليوم ليكون يوماً ثابتاً في تقويم الأيام الرسمية لجميع الدول، فيجري اغتنام هذا اليوم لتدعيم وعي المجتمعات بالصعوبات والمشكلات التي تواجه الشباب في العالم كما يساهم في تعليم الشباب و مساعدتهم وتمكينهم لصنع القرارات الصحيحة وإمكانية تطبيقها على المستوى الفردي والمجتمعي، إضافة إلى مناقشة العديد من القضايا التي تخصهم ومحاولة حلّها.

أهداف يوم الشباب؟

* مشاركة الشباب عمليات تطوير المجتمعات.
* الاهتمام بقضايا الشباب والاستماع إلى آرائهم.
* الشراكة في الأفكار والرؤى المستقبلية للشباب.
* الاستماع إلى الشباب من خلال الندوات والجلسات الثقافية والحوارية البناءة.
* زيادة وعي الأمة بالتحديات والصعوبات التي تواجه مختلف الشباب.

وأهم هدف لانطلاق يوم الشباب العالمي في سورية هو البدء بحل قضايا الشباب وما يتعرضون له من عقبات والعمل على استثمار طاقاتهم وإبداعاتهم بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة وتوعيتهم من خلال النوادي الشبابية بضرورة خلق مهارات خاصة تميزهم وتكون لبنة أساسية لمستقبل واعد.

لا يهم ما مضى بقدر ما هو قادم، لذلك كلما كان إنقاذ الشباب من بؤرة الضياع هدفاً أساسياً لدى الأمة لتعمل عليه كان التطور الإيجابي والتقدم الفكري عناصر للنجاح.

كل عام وشبابنا عصب للمجتمعات المتقدمة ونور لأجيال قادمة.

في اليوم العالمي للشباب

عيونٌ ترحل كل يوم

» حسين خليفة

في يوم واحد من هذا الشهر (آب ٢٠٢٣)، وبعد أكثر من خمس سنوات على انتهاء الحرب نظرياً على الأقل، فهي تستمر بأشكال جديدة أكثر شناعة وإيلاماً، سجلت الإحصاءات ١٢٠٠٠ مغادر لمطار دمشق وحده، وتناقلته وسائل التواصل.

وتؤكد الوقائع والصور المنقولة من المطار أن النسبة العظمى من هؤلاء المغادرين هي من الشبّان والشابات، وسفرهم على الأغلب هو هجرة نهائية إلى أي بلد يستقبلهم ويعيشون فيه حياة تليق بالبشر، وإن تطلب ذلك أن يعملوا ليل نهار، وفي أشقِّ الأعمال.

فيما يتضاعف هذا الرقم مرات عدة على المعابر التي تفصلنا عن الدول المجاورة (لبنان، الأردن، تركيا).

الكثير من شبّاننا وشاباتنا يخوضون البحار والصحارى والغابات، بعد اندلاع الاحتجاجات الشعبية عام ٢٠١١ وتعرضت لما تعرضت له، ثم حوّلوها إلى حرب عمياء، وذلك للوصول إلى بلدان اللجوء في أوربا للغرض نفسه: العيش بكرامة ومحاولة مساعدة عائلاتهم مادياً، أو لم شملهم لاحقاً بعد أن صارت الحياة في سورية جحيماً لا يطاق من جهة المعيشة والفوضى والفساد المستشري، والدخول الصفرية، فيما تكاليف الحياة ترتفع كل يوم، في ظلِّ تجاهل كامل للسلطة برموزها ودرجاتها كافة لهذا الواقع، والتصرف كأن الأمور طبيعية والبلد ليست في حال مجاعة.

هؤلاء الشباب الهاربون من الجحيم يشاهدون، مع بقية السوريين، مظاهر البذخ المبالغ فيها والمستفزّة والجارحة يتباهى بها الذين يبيعون الناس دروس الوطنية والصمود، فيما (يتبرطعون) هم وأولادهم بأموال الفساد والنهب والتعفيش والخوّات التي يفرضونها على الناس جهاراً، ويتباهون بسياراتهم الأحدث من سيارات الملوك والأمراء وسهراتهم وأماكن إقامتهم، وفي الوقت نفسه يرزح أكثر من تسعين بالمئة من السوريين تحت خط الجوع (كيف يعيش الإنسان بـ٨ دولارات في الشهر) ويكادون لا يجدون لقمة يستطيعون بها الاستمرار بالعيش على أمل أن يكون الخلاص قريباً، ويشهدوه هم أو أولادهم من بعدهم، ليكون ذلك بداية الطريق الشاق والطويل نحو بناء وطن معافى قائم على احترام الإنسان، احترام كرامته وحقوقه في العيش بحرية وكرامة وأمان.

ما الذي يربط الشباب بوطنهم؟!

إنه الأمل الذي يمنحه إياهم هذا الوطن ببناء حياة سعيدة مع العائلة والأهل ومن يحبّون، الأمل والفرص والتسهيلات لجذب هذه الثروة الأهم من كل ما عداها.

ما الذي تركوه في البلد أو تركوه من البلد؟

لقد تحوّل بفعل الخراب والنهب والمتاجرة بكل ما فيه ومن فيه إلى هيكل عظمي متداعٍ.

الآن حيث لا أمل، لا فرص، فالتعليم في أشدِّ حالات سوئه وانحداره، غياب القانون، غياب الحريات، الجوع الذي يعضُّ على أحلام الشباب ويدمّر أرواحهم، لا مفرَّ أمام هذا الجيل سوى الهرب إلى خارج هذا المستنقع، أو الغرق فيه بما يتوفر من فرص للغرق أو الموت قتلاً أو اعتقالاً أو خطفاً أو قهراً (زادت نسبة الجلطات القلبية للشباب تحديداً أضعافاً مضاعفة) أو الموت ببطء بالمخدرات والكبتاغون.

تؤكد الوقائع والصور المنقولة من المطار أن النسبة العظمى من هؤلاء المغادرين هي من الشبّان والشابات

هذه الفترة المظلمة من تاريخ سورية هي فترة عابرة على كل قسوتها وصعوباتها

دموع الأمهات والآباء وهم يودّعون فلذات أكبادهم الذين يقفون في بداية طريق الحياة لا تعني شيئاً لأصحاب القرار وباعة الوهم والشعارات في هذا البلد.

نزيف هذه الثروة الأهم والأغلى من بلد يُفترض أنه مقبل على إعادة إعمار الحجر والبشر لا يعني لهم شيئاً؟!!

ما يعنيهم الآن هو جباية أكثر كمٍّ ممكن من الأموال من هؤلاء وذويهم عبر زيادة تكاليف وثائق السفر إضافة إلى ما يُدفع من رشاوى وخوّات لتيسير أمور سفر هؤلاء.

الآن لا نستطيع سوى أن نقول لشبابنا وشاباتنا المغادرين إلى أي مكان يستطيعون الوصول إليه بعد دفع مبالغ طائلة من أجل جواز السفر، نعم، من أجل جواز السفر فحسب، وأخرى لتكاليف السفر والفيزا أو للمهربين: ليكن الرب معكم، وليمدّكم بالصبر والهمة على تأمين حياة أفضل لكم ولعائلاتكم، لكن كونوا على ثقة بأن هذه الفترة المظلمة من تاريخ سورية هي فترة عابرة على كل قسوتها وصعوباتها، لأن لكلّ شيء نهاية، فقط بسبب تلك البديهية (وليس لوجود أي مقومات حقيقية الآن لأي حل سياسي، إذ يسدُّ المستفيدون من الخراب كل آفاق الخروج من الكارثة في المدى المنظور) لا بدَّ أن ينجلي ليل هذه البلاد، وحينئذ ستكونون مُخيرين بين أوطانكمً الجديدة التي آوتكم وأمّنت لكم فرص الحياة والعمل بكرامة، أو أن تعودوا إلى سورية الجديدة التي ستكون بحاجة إلى سواعدكم وأدمغتكم لإعادة ترميم هذا الخراب.

العـــــدد 1069 ـ الأربعـــــاء 9 آب 2023

شباب بأحلام مهزومة

» **وعد حسون نصر**

الأزمـات المتتالية، والـواقـع المعيشي، وسـوء الخدمات، كذلك الخلافات والنزاعات على الصعيد الداخلي وحتى العالمي، وما حدث من تغيّرات في كل المجالات والأصعدة من تغيير اقتصادي وسياسي وحتى على صعيد الحياة الاجتماعية، فـرض على الشباب العربي بشكل عام والشباب السوري بشكل خاص واقعاً صعباً وحياة مليئة بالمشقّات!

مـن هنا، كيف لهذا الشـبـاب، المنزوعة أبسط حقوقه من تعليم وعمل وحتى إجازة للترفيه والراحة من ضغوطات الحياة، أن يحلم مع هذا العجز والنقص بأبسط المقومات الخدمية، سواء على صعيد التعليم الذي بات في أسوأ حالاته مع نقص الكادر التدريسي التـي فرضته الأجـور السيئة للمدرسين، وفقـدان الخدمات في المدارس وحتى الجامعات التي تعاني هي الأخرى سوءاً خدمياً واضحاً على نطاق أوسع؟

لا يختلف الأمر على صعيد سوق العمل وانتشار البطالة واستغلال بعض أرباب العمل لحاجة الشباب ممّا يجعلهم يفرضون عليهم سـاعـات عمل طويلة بأجر قليل، والوضع ذاته في القطاع الصحي المتدني والفاقد لأبسط مقوماته، إضافة إلى أجور المعاينة الباهظة لدى غالبية الأطباء، كذاك الأمر في المشافي الخاصة. وهـذا بحدِّ ذاتـه همٌّ كبير على الكثير من الاشخاص الذين يعانون من بعض الأمراض المزمنة التي تحتاج بشكل دوري لمراقبة ومعاينة من الطبيب.

في خضمِّ هذا الواقع، أضحى الشاب السوري في مواجهة الحياة على أكثر من جبهة، فهو يخشى أن يترك دراسته أو يستمر بها بسبب ما يترتّب عليه من مصاريف وتكاليف وأجور الجلسات الدراسية للمعاهد وثمن كتب ومحاضرات، وأجور نقل إن وجدت وسائط النقل، كل هذه المصاريف أبعدت الكثير من شبابنا عـن هدفه وحلمه، أو بـصـورة أوضـح عـن حقه في التعليم، للتوجّه إلى سوق العمل الذي لا يختلف من حيث البطالة الناجمة عن عجز الكثير من أصحاب الاسـتـثـمـارات عـن دفـع مستلزماتهم مـن جباية، أو أجور عمال ومكان، وما ترتّب عليها من عجز فرض على الكثير من التجّار أو الصناعيين إغلاق منشأته والذهاب للاستثمار في بلد آخر، وبالتالي ضاعت الكثير من فرص العمل على شبابنا، ما أدى إلى أن تفوز البطالة وتتصدّر حياتهم وتفرض عليهم عجزاً مادياً أفقدهم الكثير من طموحاتهم للسير نحو حياة أفضل.

واقع شبابنا السوري غدا واقعاً مؤلماً، فبات حلمهم الوحيد السفر بأي طريقة للخروج من جدران هذا المكان المُثقل بالهموم، وهذا ما جعلهم يتناثرون في أصقـاع الأرض يغرسون بـذور طموحاتهم المروية بالأمل بشغف العطاء لتوفّر البيئة الملائمة لنمو هذه الأهداف وهذه الطموحات. ومن هنا تراهم مبدعين ومتميّزين، منهم من حصل على علامات عالية في اختصاص معين بدولة أجنبية، وآخر أبدع في إدارة شركة بإحدى دول الخليج، حتى ملامحهم اختلفت، ثيابهم غدت ألوانها زاهية، نظاراتهم أضحت بعدسات أكثر شفافية لأن الطريق أمامهم لم يعد ضبابياً، فلماذا لا نُعيدهم إلى وطنهم مع خلق المناخ المناسب والشبيه بمناخ المكان الذي أبدعوا فيه لنستفيد من خبراتهم داخل بلدهم وبين أهلهم؟ ما الضرر من خلق مناخ صناعي يُعين الشباب على تأمين مصروفه وحاجاته المادية؟ ما الضرر في مناخ تعليمي بكوادر منصفة بـالأجـور لتعطي مـن خبراتها ومعلوماتها بكل حب للتلاميذ؟ أيضاً ما الضرر من مساعدة الشباب بقروض دون فائدة ليتمكّنوا من خلق مشاريعهم الخاصة بهم، فيساهمون في القضاء على البطالة ويضعون خبراتهم فيها، فتزداد السوق بروح شبابية جديدة تخلق معها مناخاً صناعياً مثمراً للالتحاق بسوق العمل، وحتى يمكن أن يكون هذا المشروع بمثابة معمل صغير، أو ورشة صغيرة تضم أكثر من شخص منتج؟

أرجوكم، حافظوا على جيل الشباب، فهو عماد هذه البلد، وهو الوحيد القادر على إخراج البلد من عتمة الهموم إلى نور الفرج، بعمله وعلمه وطموحاته وطاقاته المفعمة بالحيوية، فمنذ قتلتم الأمل داخل شبابنا شاخت البلد وباتت تُحتضر.

كيف لهذا الشباب، المنزوعة أبسط حقوقه من تعليم وعمل وحتى إجازة للترفيه والراحة من ضغوطات الحياة، أن يحلم؟

ما الضرر من مساعدة الشباب بقروض دون فائدة ليتمكّنوا من خلق مشاريعهم الخاصة بهم، فيساهمون في القضاء على البطالة ويضعون خبراتهم فيها؟

ما زلنا في أنواع الانقراض

» أحمد ديركي

نعم، هناك أنواع متعددة للانقراض. فهناك انقراض بيولوجي وانقراض غير بيولوجي. الانقراض البيولوجي يهدّد كل الكائنات الحية ومن ضمنها الجنس البشري. والسبب الرئيسي للانقراض البيولوجي يكمن في الاستغلال الوحشي للإنسان للبيئة وتدميره لها، والسبب الآخر يكمن في التغيرات المناخية التي تصيب الكرة الأرضية، كالعصر الجليدي الأول وما تبعه من تغيرات مناخية أدت إلى انقراض بعض الكائنات البيولوجية، أو اصطدام نيازك بالأرض.

وهنا يمكن الاسترشاد، بشكل عام، بالنسبة للانقراض البيولوجي أو وجود جنس جديد، بالنظرية الداروينية وما تبعها من تطورات في عالم البيولوجيا بكل تفرعاته، وصولاً إلى الهندسة الوراثية. لكن في كل الحالات يمكن مشاهدة دور الإنسان الفعال ومساهمته في الانقراض، وطبعاً بالتحديد الطبقة البرجوازية في المجتمع الإنساني، وكيف تعمل هذه الطبقة على المساهمة في الانقراض البيولوجي وتُظهر نفسها وكأنها المدافعة عن الجنس البشري.

أما الانقراض غير البيولوجي فهو عملية أبطأ من الانقراض البيولوجي، وفي الوقت عينه تساهم في الانقراض البيولوجي. وقد يكون من أبرز الأمثلة على الانقراض غير البيولوجي وجود المناجم والكسارات. تلك الكسارات التي تحفر في الجبال وتأكلها، كما تأكل الفئران مزروعات الحقول، من أجل صناعة مواد البناء. فالإنسان بحاجة إلى منازل وأبنية وقصور فخمة وأحجار

من أبرز الأمثلة على الانقراض غير البيولوجي وجود المناجم والكسارات التي تحفر في الجبال وتأكلها، كما تأكل الفئران مزروعات الحقول، من أجل صناعة مواد البناء

رخامية و... وكل هذه الأمور كي يعيش في رخاء في قصره، والتماثيل والمنحوتات، ومعظم المواد الأساسية لهذه الرفاهية تأتي من الحفارات التي تأكل الجبال. عند تشويه الجبل بقضمه بواسطة الحفارات مع الوقت ينقرض الجبل، ويتحول إلى مجردة هضبة، إن استطاع النجاة، أو مجرد شكل طبيعي مشوّه بشرياً، فلا هو بجبل ولا هو بهضبة. انقراض الجبل، انقراض غير بيولوجي، ولكنه يؤثر على الحياة البيولوجية ويؤدي إلى انقراضات بيولوجية. مجدداً، من يقوم بأكبر كمّ لانقراض الجبال هم الطبقة البرجوازية. فالفقراء ومن هم دخلهم أقل قليلاً من الفقراء يسكنون في منزل متواضع، أو مقبول، أو في بناء سكني. أما الأغنياء فلهم قصورهم وشققهم الفخمة المستهلكة لكمٍّ كبير من المواد المنتجة من قرض الجبال. وهنا أيضاً يتباكى الأغنياء على هذا الاستهلاك للطبيعة وقضم الجبال ويتهمون المساكن العشوائية والفقراء بأكلهم للجبل وتشويه المنظر الطبيعي.

كما يوجد نوع آخر من الانقراض إلا أنه انقراض خفيّ. نعم، انقراض خفي لا يشعر به الفقراء، ولا حتى الطبقة البرجوازية. إلا أنه انقراض يكسب الطبقة البرجوازية المليارات يومياً، لا شهرياً أو أبعد.

إنه انقراض الفئة الصغيرة من العملات. فمن المتعارف عليه أنه مع التضخم يتآكل سعر العملة ويرتفع سعر السلع بكل أصنافها. فمثلاً إن كان سعر السلعة ١٠٠ ليرة مع التضخم يرتفع السعر إلى ١١٠ ليرات أو أكثر معتمداً على مستويات التضخم. فما يحدث في بلادنا أن التضخم مرتفع جداً وحدث بشكل متسارع، فارتفعت أسعار السلع بشكل جنوني، ليس بسبب التضخم فقط، بل لأن الطبقة البرجوازية وحليفتها السلطة السياسية، تعمل على الحفاظ على مستويات الأرباح وزيادتها، فتشرع للتجار والمستوردين، كل التنظيمات التي تحميهم وتحمي أرباحهم على حساب الفقراء والطبقة العاملة.

مع ارتفاع مستويات التضخم تنقرض الفئات الصغيرة من العملات. فمثلا تصبح الـ١٠٠ ليرة لا قيمة لها، ولا حتى الـ٥٠٠ ليرة و... لكن تبقى السلع تسعّر بهذه الكسور، أو الفئات الصغيرة من العملات. للتوضيح هناك سلعة مسعرة بقيمة ١٠٥٦٠ ليرة. عند شرائها هناك أزمة ففئة الـ١٠٠ ليرة مفقودة لأنها انقرضت، وحتى فئة الـ٥٠٠ انقرضت. ما الحل؟ لأن هذه الفئات الصغيرة من العملات أصبحت بلا قيمة فالمشتري يدفع ١١ ألف ليرة ثمناً لها ولا ينتظر من البائع أن يرد له الباقي، لانقراض فئة الباقي.

لنتوقف هنا قليلاً. هذا السعر ١٠٥٦٠ ليرة يتضمن سعر البضائعة زائد الربح. فالمشتري دفع ١١ ألف ليرة أي دفع ربحاً على الربح! فمن المستفيد من هذا الربح على الربح؟! إنه التاجر، والمصنع، واختصاراً مالك وسيلة الإنتاج، أي البرجوازي.

فهنا انقراض الفئات الصغيرة من العملة، لفقدان قيمتها، يكلف المواطن المزيد من الإنفاق غير المنظور ويحقق المزيد من الأرباح المنظورة للطبقة البرجوازية، وحليفتها السلطة السياسية. فكيف للسلطة السياسية أن تفك ارتباطها مع البرجوازية ما دام الطرفان حليفين وكل منهما يدعم الآخر؟!

تعمل الطبقة البرجوازية على المساهمة في الانقراض البيولوجي، وتُظهر نفسها وكأنها المدافعة عن الجنس البشري

ارتفعت أسعار السلع بشكل جنوني، ليس بسبب التضخم فقط، بل لأن الطبقة البرجوازية وحليفتها السلطة السياسية، تعمل على الحفاظ على مستويات الأرباح وزيادتها

26
الثورة
أسست عام 1955
www.alnnour.com
العدد 1069 ـ الأربعاء 9 آب 2023

أزمة في الاقتصاد السوري.. ما هو الحل؟ الدكتور منير الحمش

تعقيب للدكتورة ناديا خوست

(العامل الاقتصادي كان ولا يزال عنصراً أساسياً في الأزمات والحروب، وسيكون كذلك في مرحلة التعافي والمراحل التالية. وان مدى النجاح في مرحلة التعافي وما بعدها يرتبط بنتائج المراجعة التي يجب أن تجري للسياسات الاقتصادية والاجتماعية، في تهيئة الظروف التي تخدم أهداف من يسعى للحرب أو للأزمة، وبالتالي فإن الضرورة تفرض تحولاً في السياسات الاقتصادية والاجتماعية يتناسب مع الدروس المستخلصة، الأمر الذي يحتاج إلى تغيير في التفكير والمسائل المرتبطة بالاقتصاد والتحليل الاقتصادي فضلاً عن تغيير الوسائل والأدوات. وهكذا فإن حل مشكلتنا الاقتصادية والانطلاق نحو مرحلة جديدة من التعافي وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب:

١ - إجراء مراجعة موضوعية للسياسات ما قبل الأزمة وخلالها وحتى الآن.

٢ - وضع الأساس النظري والإطار العملي للسياسات المقترحة لمرحلة التعافي وما بعدها واتخاذ خطوات جادة بالابتعاد عن التوجهات الليبيرالية التي كانت السبب الأساسي في الأزمة.

٣ - السير بثبات نحو الحل السياسي للأزمة السورية وتحقيق الجلاء الشامل للجيوش الأجنبية غير الشرعية والقضاء على جميع الفصائل الإرهابية، والتحقيق العملي لوحدة التراب السوري (١٨٥ ألف كم٢) ووحدة الشعب السوري (٢٧ مليون نسمة على أرضه).

٤ - توطيد ثقة المواطن السوري باقتصاده وعملته الوطنية ومؤسساته.

٥ - يجب أن تشمل عملية مراجعة السياسات أولاً القرارات المالية المتعلقة بالضرائب وخاصة جانبها المتهافت على زيادة الإيرادات، وكذلك القرارات الخاصة بالتخلي عن بعض أصول الدولة من المباني والأراضي والمؤسسات تحت عناوين تشاركية أو من

خلال عقود خاصة.

٦ - مواجهة علمية سريعة وإسعافية لتدهور الحالة المعيشية ومعالجة حالة عدم تناسب الرواتب والأجور مع تكاليف العيش الكريم.

كيف نواجه مسألة الجوع في سورية؟ لخصت إجابتي بكلمتين: الإرادة والإدارة. وأقصد بالإرادة وجود قرار سياسي مُلزم للجميع. أما الإدارة فهي الحكومة بمؤسساتها المختلفة، بأن تكون نزيهة وعلمية وموضوعية تمتلك الأفق وتتحكم بمفاصل وتفاصيل المشكلة، وتمتلك القدرة على التخطيط والمتابعة والتنفيذ. ويأتي في السياق الكثير من التفاصيل المتعلقة بقضايا الإنتاج الزراعي والصناعي والحرفي، والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية، والانتقال من حالة الاقتصاد الرّيعي إلى حالة الاقتصاد المنتج، ويأتي قبل ذلك كله السير قدماً على طريق الحل السياسي للأزمة).

أستنتج من دراسة الدكتور منير الحمش:

١ - أن الكفاءات السورية التي تؤهل لتجاوز الانهيار الاقتصادي موجودة، لكنها يجب أن توظف في مكان الإدارة، لا أن تكون البطاقة الحزبية شرط إدارة المراكز القيادية.

١ - يفترض لتنفيذ الخطوات التي ذكرها الدكتور الحمش حكومة نظيفة من الأهواء الليبرالية، وخاصة في مؤسسات الاقتصاد والتعليم.

٢ - يطلب المزاج الشعبي منع استيراد السيارات الفخمة وبضائع الرفاه لأثرياء الحرب.

٣ - يتبيّن من يقرأ الرأي العام أنه سحب ثقته بالحكومة، ويأمل في أن تقيلها مؤسسة الرئاسة والجيش، بعد فشل مجلس الشعب في ممارسة دوره.

٤ - لا يجوز أن ينتشر اليأس والشعور بالعجز أمام السوق الذي يلتهم لحم الشعب السوري وروحه، فالهدف أن يقبل ما رفضه تحت القصف.

٥ - يفترض أن يحاكم من يختلس أصول الدولة السورية وخاصة مؤسسة التعليم، والمطارات، لأنها ملك عام للشعب السوري.